وابن جُبير، والنَّخَعي، وربيعة، والثوري، والشعبي، ومالك في رواية عنه وعن أحمد، وفي الرواية الأخرى عن مالك وأحمد أنه ينقض، وهو قول عائشة، وابن عمر، وأبان ابن عثمان، وعطاء، وأبي العالية، وعروة بن الزبير، والزُّهري، والشافعي. وعلى هذا الخلاف في مسّ الدّبُر، واحتجوا بحديث بُسرة بنت صفوان. وفي رواية: «وأيّما امرأة مَسَّتْ فرجَها فلتتوضَّأ». والله أعلم][1].

السنة السادسة والستون

فيها أُطلق المختار من السجن، وثار لطلب الثأر من قتلة الحسين عليه السلام.

وقد ذكرنا[2] أنَّ التَّوَّابين لمَّا قدموا من عين وَرْدَة ونزلوا الكوفة؛ كتبَ إليهم المختار من السجن يُعزِّيهم في سليمان بن صُرَد ويقول: أنا صاحبُ الطلب بثأر أهل البيت.

وكان عبد الله بن خَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة قد حبساه، وكان يكاتبُ الشيعة من الحبس ويكاتبونه، ومالوا إليه بعد سليمان بن صُرد، وبعثوا إليه، ورأسُهم[3] رِفاعة بن شدَّاد أحد الأمراء الذين تقدَّم ذكرهم.

ورِفاعة هو الذي قدم بمن بقيَ من جيش التَّوَّابين، وكان معه رؤوس الشيعة، فأرسلوا إلى المختار: إنْ شئتَ سِرْنا إليك فأخرجناك من السجن؛ فعلنا. فأرسلَ إليهم مع رسولهم عبد الله بن كامل: ما أُريد هذا، وأنا خارجٌ في هذه الأيام.

قال هشام في روايته عن أبي مِخْنَف قال: وكان المختار قد بعث غلاماً إلى مكة إلى ابن عُمر ـ واسم الغلام زِرْبِيّ[4] ـ وكتب معه كتاباً يقول: إني حُبستُ ظلماً. وسأله أن يكتبَ إلى عبد الله بن يزيد الخَطْمي وإلى إبراهيم يشفع إليهما في إطلاقه.

---

(١) من قوله: الكلام على الحديث... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين من (م). وجاء في حاشيتها ما صورتُه: (لله درُّ المصنف في نُصرته مذهب أبي حنيفة وإسناده مذهبه إلى معظم الصحابة رضوان الله عليهم وعليه. وبذلك يُعلم أنه حنفي المذهب، وقد ذُكر في طبقات الحنفية، وله ترجمة واسعة جميلة؛ فليراجعها من أراد الإطلاع. والله أعلم). اهـ. قلت: ورواية: «وأيما امرأة مسّت فرجها فلتتوضأ» في «مسند أحمد» (٧٠٧٦). من حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما.

(٢) ص ٣٢٢-٣٢٣. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٦٠٦.

(٣) في (ص): ورؤساهم. وقد أضيفت هذه النسخة بدءاً من هذه السنة (٦٦) وهي نسخة أياصوفيا.

(٤) في (أ) و(خ) و ﷺ: رزينا. وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٨: ويُدعى الغلام زربيّاً، وأثبتُّ اللفظة على الجادّة.

obeikandi.com

فكتب عبدُ الله بنُ عمر إليهما: قد علمتما ما بيني وبينكما من الوُدّ، وما بيني وبين المختار من الصِّهْر، وأنا أُقسمُ عليكما بحقّ ما بيني وبينكما لما خلَّيتُما سبيلَه حين تَنظران[1] في كتابي هذا. والسلام.

فلما وقفا على الكتاب طلبا من يكفل المختار بنفسه، فكفله جماعةٌ من الأشراف، ثم دعا به عبدُ الله وإبراهيم، فأحلفاه أنه لا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإنْ هو فعل؛ فعليه ألفُ بَدَنة ينحرُها عند الكعبة، ومماليكُه وجواريه أحرار.

وخرجَ إلى داره، فكان يقول بعد ذلك: قاتلهما الله، أتراهما يريان أنِّي أفي لهما؟! أمَّا اليمين بالله فمن حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها. الحديث[2]. وأمَّا ألفُ بَدَنة؛ فهو أهونُ عليَّ من بَصْقة. وأمَّا عتقُ عبيدي؛ فوددتُ أنّي استتبَّ أمري، ثم لم أملك مملوكاً أبداً.

واختلفت إليه الشيعة، ورضُوا به، ولم يزل أمرُه يشتدّ ويقوى حتى عزلَ ابنُ الزبير عبدَ الله بنَ يزيد وإبراهيم بن محمد، وولَّى على الكوفة عبدَ الله بنَ مطيع، وعلى البصرة الحارث بنَ عبد الله بن أبي ربيعة، فسار إليهما فلقيَهما بَحِير بن رَيْسان الحِمْيَريّ، فقال لهما[3]: إنَّ القمر الليلة بالنَّاطح[4]، فلا تسيرا.

فأمَّا الحارث فأطاعه، وأقامَ يسيراً ثم شخصَ إلى البصرة، وأمَّا ابنُ مُطيع؛ فقال: وهل نطلب إلا النَّطْح. قال: فلقيَ ـ واللهِ ـ نَطْحاً وبَطْحاً، والبلاءُ موكَّلٌ بالمنطق[5].

---

(١) في (أ) و(ص): تنظرا، وفي (خ): تنظروا. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٨. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣ـ٤٤.

(٢) وتتمته: فليأت الذي هو خير وليكفِّر عن يمينه. وللحديث روايات كثيرة. وينظر «مسند» أحمد (٦٩٠٧).

(٣) عبارة الطبري ٦/ ٩: فبلغ ذلك بَحِير بن ريسان الحميري، فلقيهما فقال لهما... الخ. فيلاحظ أن قوله: «فسار إليهما» تكرار بالمعنى لقوله: «فلقيهما» ولا حاجة إليه.

(٤) النَّاطح ـ ويسمَّى الشَّرَطان (تثنية شَرَط، أي: العَلَامة) ـ هو الأول من منازل القمر الثمانية والعشرين، ويُتطيَّر منه. ينظر «صبح الأعشى» ٢/ ١٦٤.

(٥) قوله: والبلاء موكّل بالمنطق، هو من كلام عمر بن عبد الرحمن بن هشام راوي الخبر كما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٩ـ١٠. وهو مَثَل؛ قال الميداني في «مجمع الأمثال» ١/ ١٧: يقال: أوَّلُ من قاله أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه (وذكر خبره).

وفرَّق ابنُ الزُّبير عمَّالَه في البلاد، وبلغَ عبدَ الملك بنَ مروان فقال: مَن استعملَ على الكوفة؟ قيل: عبدُ الله بنُ مطيع. فقال: حازم وكثيراً ما يسقط، وشجاعٌ وما يكرهُ أن يَفِرّ. قال: ومَنْ بعثَ إلى البصرة؟ قالوا: الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة. قال: لا حُرَّ بوادي عوف[١]. قال: ومَنْ بعث على المدينة؟ قالوا: [بعثَ] أخاه مصعباً. فقال: ذاك الليث النَّهْد، وهو رجل أهل بيته.

قال هشام بروايته عن أبي مِخْنَف قال: قدم عبدُ الله بنُ مطيع الكوفة لخمس بقين من رمضان، فقال لعبد الله بن يزيد الخَطْمي: إنْ أحَبَبْتَ أن تُقيمَ معي أكرمتُ مثواك، وإنْ لحقتَ بابن الزُّبير أكرَمَك. وقال لإبراهيم بن محمد: الْحَقْ بابن الزُّبير. فلحق بالمدينة، وكسر الخَرَاج، فلم يُؤاخذه ابنُ الزبير[٢].

وأما ابنُ مطيع فولَّى شرطتَه إياس بن مُضارب العجلي.

وصعد ابنُ مطيع المنبر، فخطب وقال: إن أمير المؤمنين عبدَ الله بنَ الزبير بعثني على مِصْركم، وأمرني بجباية فيئكم، وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا بِرِضاً منكم، وأن أسير فيكم بسيرة عمر بن الخطاب، وأعملَ بوصيَّته فيكم، وبسيرة عثمان، فاتقوا الله، ولا تختلفُوا، وخُذُوا على أيدي سفهائكم، وإلا تفعلوا فلُومُوا أنفسكم ولا تلومُوني. وذكر كلاماً فيه تهديدٌ ووعيد.

فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال: أمَّا أمرُ ابنِ الزُّبير إيَّاك ألَّا تحمل فضل فيئنا عنّا إلا بِرِضاً منَّا، فنحن لا نرضى أن تُخرج فضلةً عنَّا، وأن لا تَقسم فيئنا [إلا فينا، وأن لا يُسَار فينا] إلا بسيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا حتى مضى لسبيله رحمه الله، ولا حاجةَ لنا في سيرة عثمان في فيئنا وفي أنفسنا، فإنها إنما كانت أثرةً [و] هوًى، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا، فقد كان لا يألُو الناس خيراً. فقال يزيد بن أنس: صدقَ السائب، كلُّنا على مثلِ رأيه. فقال ابنُ مطيع: نسيرُ فيكم بكلِّ سيرة أحْبَبْتُموها. ثم نزل[٣].

---

(١) هو مَثَل؛ قال أبو عُبيد في «الأمثال» ص ٩٤ : إنْ أرادوا أنَّ من ناوَأنا ذلَّ عندنا قالوا: لا حُرَّ بوادي عَوْف؛ يقول: كلُّ من صار في ناحيته خضع له وذلَّ. وعَوْف: هو ابنُ مُحلِّم الشيباني. وينظر أيضاً «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٣٦ . وتحرَّفت كلمة «حرّ» في (أ) و(خ) و(ص) إلى: خير.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٠ : كسر على ابن الزُّبير الخَرَاج وقال: إنما كانت فتنة، فكفّ عنه ابن الزُّبير.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٠ـ١١ . (وما سلف بين حاصرتين منه). وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٥ .

وحكى أبو مِخْنَف عن عامر الشعبي قال: كنتُ أنا وأبي أوَّلَ مَنْ أجابَ المختار. قال: فلما تهيَّأَ خروجُه قال له أحمر بن شُميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شدَّاد: إنَّ أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع، فإنْ وافَقَنَا إبراهيمُ بنُ الأشْتَر رَجَوْنا النصر عليهم، فإنه فتًى رئيس[١]، وابنُ رجل شريف، وله عشيرة. قال: فالْقَوْه فأخْبِروه ما نحنُ عليه.

قال الشعبي: فخرجوا إليه وأنا وأبي معهم فقالوا له: قد أتيناك في أمرٍ، فإنْ قبلتَه كان خيراً لك، وإن تركتَه فقد أدَّيْنا إليك النصيحة، ونحبُّ أن يكون عندك مستوراً. وكان المخاطب له يزيد بن أنس.

فقال إبراهيم: مثلي لا تُخاف غائلتُه ولا سِعايتُه، ولا التقرُّب إلى سلطانه[٢]. قالوا: إنَّا ندعوك إلى أمرٍ إن أجَبْتَنا [إليه] عادت لك منزلةُ أبيك. ودعَوْه إلى أمرِهم وما هم عليه، وقالوا: تُحيي من أبيك أمراً قد مات. فقال لهم إبراهيم: فإني أجيبُكم[٣] إلى ما دعيتموني[٤] إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تُولُّوني الأمر. فقالوا له: أنتَ أهل لذلك، ولكن لا سبيل إلى ذلك، هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهديّ، وهو المأمور بالقتال، وقد أُمِرْنا بطاعته. فسكت إبراهيم. وعادوا فأخبروا المختار.

قال الشعبي: فأقام المختارُ ثلاثاً، ثم دعا بضعةَ عشرَ رجلاً من وجوه أصحابه وأنا وأبي فيهم، ثم خرج يمشي أمامَنا ليلاً، ولا ندري أين يذهب بنا، حتى أتى بابَ إبراهيم بن الأشتر، فاستأذنَ، فأذنَ له، فدخلْنا، فأجلسه معه على فراشه، ووُضعت لنا الوسائد، فأخرج له المختار كتاباً وقال: هذا كتابُ المهديّ محمد بن أمير المؤمنين، وهو يسألُك أن تنصرَنا وتُؤازرَنا، فإنْ فعلتَ اغتبطتَ، وإنْ لم تفعل فهذا الكتاب حجَّةٌ عليك.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٥ (والرواية فيه): بئيس، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٧ : فتى ماض.

(٢) بعدها في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٥ : باغتياب الناس.

(٣) في (أ) و(خ) و(ص): فإن أجبتكم. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦ . وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٧ : قد أجبتكم. ولفظة «إليه» السالفة بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري.

(٤) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وهي لغة. وفي «تاريخ الطبري»: دعوتموني.

قال الشعبي: وكان المختار قد دفع إليَّ الكتاب، فقال لي: ادْفَعْه إليه. فدفعتُه إليه، فدعا بالمصباح، وفضَّ ختمه، ثم قرأه.

وفيه: من محمد المهديّ إلى إبراهيم الأشتر، أمَّا بعد، فقد بعثتُ إليك بوزيري، وأميني، وأمَرتُه بقتال عدوِّي والطلبِ بثأر[1] أهل بيتي، فانهض معه بنفسك وأهلك وعشيرتك، فإنْ ساعدتَ وزيري ونهضت معه؛ كانَتْ لك عندي بذلك الفضيلة، ولك أعنَّةُ الخيل وكلُّ مصر ظهرتَ عليه، وكلُّ ثَغْر فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام، وإنْ أبيتَ هلكتَ هلاكاً لا تستقيلُه أبداً. والسلام.

فقال إبراهيم: قد كتبَ إليَّ محمد وقد كتبتُ إليه قبل اليوم، فما كان يكتبُ إليَّ إلا باسمه واسم أبيه! فقال المختار: ذاك زمان وهذا زمان. قال: فمَنْ يعلمُ أنَّ هذا كتابُ ابنِ الحنفية إليّ؟ قال المختار: يزيد بن أنس، وأحمر بن شُميط، وعبد الله بنُ كامل، وجماعة.

قال الشعبي: فشهدُوا إلا أنا وأبي، فتأخَّر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش، وأجلسَ عليه المختار، ثم بايعَه على النُّصرة، وقام المختار وأصحابُه فخرجوا، وخرج إبراهيم مع المختار حتى دخل داره ورجع.

قال الشعبيّ: فأخذ إبراهيمُ بيدي وقال: انصرفْ بنا يا شعبيّ. فانصرفتُ معه، فلما دخل رَحْلَه قال: لِمَ لَمْ تشهَدْ أنت ولا أبوك؟ أترى هؤلاء شهدوا على حقّ؟ قال: فقلتُ: قد شهدوا على ما رأيتَ، وهم سادة القرَّاء ومشيخةُ المصر وفرسانُ العرب، ولا أرى مثلَ هؤلاء يقولون إلا حقّاً. قال الشعبي: فقلت هذه المقالةَ وأنا ـ واللهِ ـ مُتَّهِمٌ لهم في شهادتهم، غيرَ أنِّي على رأي القوم، وأحبُّ تمام الأمر، فلم أُطلِعْه على ما في نفسي من ذلك. فقال ابنُ الأشتر: اكتبْ لي أسماءهم، فلستُ أعرفُ كلَّهم. قال: فكتبتُ له:

هذا ما شهد به السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس الأسديّ، وأحمر بن شُميط الأحمسي، ومالك بن عَمرو[2] النَّهدي. حتى أتيتُ على أسمائهم، وقال: اكتُب صورةَ الكتاب، فكتبتُه.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٦ : بدماء. وكذا في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٧ ، والكلام فيه بنحوه.

(٢) في (أ) و(خ): عُمر، والمثبت من (ص) وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٧ .

فكان إبراهيمُ يأتي كلَّ ليلة إلى المختار إلى أن يَبْهَارَّ الليل[١]؛ يدبِّرُون أمرَهم، واتفقوا على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة خلت من ربيع الأول سنة ستّ وستين.

وأُخبِرَ إياسُ بنُ مضارب صاحبُ شرطةِ عبدِ الله بن مطيع بأنَّهم على الخروج في إحدى الليلتين، فأَخبرَ ابنَ مطيع بأنهم على الخروج[٢]، فاستعدَّ، وفرَّق القبائل، فبعثَ عبد الرحمن بنَ سعيد بن قيس إلى جَبَّانةِ السَّبِيع، وبعثَ كعبَ بنَ أبي كعب الخثعمي إلى جَبَّانَةِ بشر، وبعثَ زَحْر بنَ قيس إلى جَبَّانة كِنْدَة، وبعث شَمِر بن ذي الجَوْشَن إلى جَبَّانةِ سالم، وبعثَ شَبَثَ بنَ رِبْعيّ إلى السَّبَخَة، وفرَّق القبائل.

وكان خروجُ هؤلاء يومَ الاثنين، فنزلوا هذه الجَبَابِين، وأحاطت الشُّرَط بقصر الإمارة وفيه ابنُ مُطيع.

فحكى أبو مِخْنَف عن حُميد بنِ مسلم قال: خرجتُ مع إبراهيم بن الأشتر من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء في كتيبة نحو المئة، وعلينا الدُّرُوع قد كَفَرْنَاهَا بالأقبية[٣] ونحن متقلِّدُون السيوف، ليس معنا سلاح إلا السيوف، وكان إبراهيم فتًى حَدَثاً شجاعاً، فقال: واللهِ لأَمُرَّنَّ على جانب القصر، ولأُرْعِبَنَّ عدوَّنا، ولأُرِيَنَّهم هوانَهم علينا.

قال: وسِرْنا، فلما جاوَزْنا دار عَمْرِو بن حُريث لقينا إياس بن مضارب[٤] في الشُّرَط، فقال: مَنْ أنتم؟ فقال: أنا إبراهيم بن الأشتر. فقال له إياس: ما هذا الجمع معك، وقد بلغني أنك تمرُّ كلَّ عشيَّة ههنا؟ وما أنا بمفارقك حتى آتيَ بك الأمير. فقال له إبراهيم: خَلِّ سبيلَنا. فقال: لا والله. وكان مع إياس رجل يقال له: أبو قَطَن، وبيده رمح، فدنا منه إبراهيم، وأخَذَ الرُّمح، وطعنَ إياسَ بنَ مُضارب في نحره، فصَرَعَه، وقال لرجل من أصحابه: انزِلْ فاحتزَّ رأسَه. فنزل فاحتزَّ رأسه، وتفرَّق عنه أصحابُه.

---

(١) أي: ينتصف.

(٢) قوله: بأنهم على الخروج، من (أ). وفي هذا الموضع من (ص) سقط.

(٣) أي: غطَّيناها بالأقبية. والأقبية جمع قَبَاء، وهو الثوب يُلبس فوق الثياب.

(٤) من قوله: وأُخبر إياس بن مضارب... إلى هذا الموضع، سقط من (ص).

وأخبروا ابنَ مطيع، فبعثَ ابنَه راشد بنَ إياس مكان أبيه على الشُّرطة.

وأقبل ابنُ الأشتر إلى المختار ليلةَ الأربعاء وقال: إنَّا كنَّا قد أبعدنا الخروج من القابلة ليلة الخميس، وقد حدثَ أمرٌ لا بدَّ من الخروج الليلة. وأخبره الخبر وقال: هذا رأسُ إياس بن مضارب، فقال له: بشَّرك الله بخير. هذا أوَّلُ الفتح.

ثم أمر المختار سعيد بنَ منقذ، فأوقدَ هَرَادي[١] النيران وقال لعبد الله بن شدَّاد: قُم فنادِ: يا منصور أَمِتْ. وقال لسفيان بن ليل[٢] ولقدامة بن مالك: نادِيا: يا ثارات[٣] الحسين. ولبس سلاحه وخرج، وتقدَّمه ابنُ الأشتر إلى القبائل الذين كانوا في الجَبَّابِين، فَدار عليهم، فهزمهم.

وركب ابنُ مطيع والقبائل، وقامت الحرب على ساق، ونزل المختار في أصحابه بدير هند.

ونادى أبو عثمان[٤]: ألا إنَّ أمين آل محمد قد نزل بدير هند، فاخْرجُوا إليه رحمكم الله.

قال: فخرجوا من الدُّور يتداعَوْن: يا لَثارات الحسين، وكان قد بايعه منهم اثنا عشر ألفاً، فلحق بهم منهم ثلاثة آلاف وخمس مئة[٥]، فاجتمعوا قبل انفجار الصبح، فأصبح المختار على تعبئة.

قال أبو مِخْنَف: فحُدِّثتُ عن الوالبي[٦] قال: خرجتُ أنا وحُميد بن مسلم والنُّعمان ابن أبي الجعد إلى المختار في تلك الليلة، فصلى الفجر بغَلَس؛ قرأ فيها بالنازعات، وعبس وتولى، فواللهِ ما سمعْنا إماماً أَمَّ قوماً أَفْصَحَ لهجةً منه.

---

(١) جمع هُرْدِيَّة، وهي الحُرْدِيَّة، وهي قصبات تُضَمّ ملويَّةً بِطاقاتِ الكرم تُحمل عليها قضبانُه. ينظر «تاج العروس» (هرد) وتحرفت في (أ) إلى: هواري، وفي (خ) إلى: هوادي، والكلام ليس في (ص). والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠ .

(٢) في النسخ: سفيان بن أبي ليلى، والتصويب من «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠ .

(٣) في (أ) و(خ): فناد يا ثارات. والمثبت من (ص). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٠ : فناد يا لثارات.

(٤) هو النَّهدي؛ خرج فنادَى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا... ينظر«تاريخ» الطبري ٦/ ٢٢ .

(٥) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٣ : وثمان مئة. وكذا في «أنساب الأشراف» ٦/ ٥١ والكلام فيه بنحوه.

(٦) في «تاريخ الطبري»: فحدَّثني الوالبي .

قال: ونادى ابنُ مطيع في الناس أن يجتمعوا إلى المسجد، فاجتمعوا، فجهَّز شَبَث ابنَ رِبْعيّ في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث معه راشدَ بنَ إياس في أربعة آلاف من الشُّرَط.

وأقبل شَبَثُ بن رِبْعيّ في آخر الليل نحو المختار، فسمعَ المختارُ ضجَّة عظيمة، فقال: ما هذا؟ قالوا: شَبَثَ بن رِبْعيّ قد أقبلَ إليك ومعه راشد بن إياس. فقال المختارُ لابنِ الأشتر: عليك براشد، وأنا لِشَبَث. فالتقى ابنُ الأشتر لراشد، وأحاط شَبَثُ بنُ رِبعيّ بالمختار وإبراهيم في تسع مئة، وراشدٌ في أربعة آلاف، فحمل نصر ابن خزيمة[1] العبسيّ على راشد، فطعنه فقتله، ثم نادى: قتلتُ راشداً. ونزلَ فاحتزَّ رأسه، وحمله على رمح، فانهزم أصحابُه.

وجاء ابنُ الأشتر وأصحابُه إلى المختار وقد أحاطَ به شَبَثُ بنُ رِبْعيّ، فاقتتلوا وابنُ مطيع قائمٌ بالكُناسَة يجهِّزُ الجيوش وقد دخل أصحابَ ابنِ مطيع الخوفُ والفشلُ.

وحمل المختار في الرَّجَّالة وقد ترجَّل، وكذا ابنُ الأشتر، فانهزم شَبَث بنُ رِبْعيّ ومن معه حتى توارَوْا ببيوت الكوفة.

واستفحل أمرُ المختار، وجاءَتْه الشيعة من كل مكان، فقال: اطلُبوا القصر. فطلبوه والقتالُ يعمل وابنُ مطيع قائمٌ على الكُناسة، فصاح ابنُ الأشتر: شُدُّوا عليهم، فشَدُّوا عليهم، فانهزموا ودخل ابنُ مطيع إلى القصر ومعه وجوهُ أهل الكوفة، فحصروه في القصر ثلاثاً.

فقال أصحابُه: ما ترى؟ فالقومُ في إقبال، ونحنُ في إدبار. وقال شَبَث بنُ رِبْعيّ: أيُّها الأمير، الرأيُ أن تأخذَ لنفسك ولمن معك أماناً. فقال: أكرهُ ذلك والبلادُ كلُّها والبصرةُ والعراقُ لابنِ الزُّبير. فقال: اخرج بحيث لا يشعروا بك، واذهب حيث شئتَ. فقال: حتى أنظرَ.

فلما جاء الليل، حمدَ اللهَ ابنُ مطيع وقال: قد علمتُ أنَّما فعلَ هذا سفهاؤكم وأراذلُكم. أما أولو الفضل منكم فسامعون مطيعون، وأنا مبلّغ ذلك صاحبي ومُعْلِمُه

(١) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٦ : خزيمة بن نصر.

طاعتكم وجهادكم عدوَّه، حتى كان اللهُ الغالبَ على أمره، وقد أشرتُم عليَّ بالخروج، وقد رأيتُ أنْ أخرجَ في هذه الساعة. فقال له شَبَث بنُ رِبْعيّ: جزاك الله من أمير خيراً، فقد ـ واللهِ ـ عففتَ عن أموالِنا، وأكرمتَ أشرافَنا، ونصحتَ لصاحبك، وقضيتَ الذي عليك، وما كنَّا لنفارقَك إلا ونحن منك في إذن.

ثم خرج، وخلَّى القصر وما فيه، وقال أصحابه لابن الأشتر: نحن آمِنُون؟ قال: نعم. فخرجوا، فبايعوا المختار[١].

وجاء المختار، فدخل القصر، وثابَ إليه الناس، فصعد المنبر وقال:

الحمد لله الذي وعدَ وليَّه النصر، وعدوَّه الحصر[٢] وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضيّاً، وقد خابَ من افترى، أيُّها الناس، إنَّه قد رُفعَتْ لنا راية، ومُدَّتْ لنا غاية، فقيل لنا في الراية أنِ ارْفَعُوها ولا تضعوها، وفي الغاية أنِ اجْرُوا إليها ولا تَعْدُوها. فسمعنا دعوةَ الدَّاعي، ومقالةَ الواعي.

وذكر كلاماً [طويلاً] في هذا المعنى وقال: والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً[٣]، والأرضَ فِجاجاً سُبُلاً، ما بايعتُم بيعةً بعد بيعةِ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه وآلِه أهدى من هذه.

وبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسوله، والطلبِ بدماء أهلِ البيت، وجهادِ المُحِلِّين، والدَّفعِ عن الضعفاء والمظلومين.

وكان ابن مطيع قد نزل دار أبي موسى، وجاء عبدُ الله بنُ كامل إلى المختار فقال: أعلمتَ أنَّ ابنَ مطيع في دار أبي موسى؟ فلم يجبه بشيء، وكان ابنُ مطيع صديقاً للمختار، فلما جاء المساء بعثَ المختار إلى ابنِ مطيع بمئة ألف درهم، وقال له: تجهَّزْ بهذه واذهب، فإني قد علمتُ بمكانك، وأنه ما منعك من الخروج إلا ضِيقةُ ذاتِ يدك، فاخْرجْ.

---

(١) ينظر«أنساب الأشراف» ٦/ ٥٢ـ٥٣ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٢٩ـ٣٣، والكلام مختصر من روايته.

(٢) في المصدرين السابقين: الخُسر.

(٣) في (خ): سقفاً محفوظاً مكفوفاً. وفي (ص): السماء بروجاً وسقفاً مكفوفاً. والمثبت من (أ) وهو الموافق لما في المصدرين السابقين وما سلف بين حاصرتين من (ص).

وأصاب المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف [درهم] ففرَّقها في أصحابه على أقدارهم، وهم ثلاثةُ آلاف وثمان مئة رجل، فأعطى كلَّ واحد منهم خمس مئة درهم، وقرَّب الأشراف، وأحسنَ إلى الناس، فمالوا إليه.

واستعملَ على شرطته عبدَ الله بنَ كامل اليشكري[١]، وعلى حرسه كيسان أبا عَمْرَة.

قال أبو مِخْنَف: وأوَّلُ رايةٍ عَقَدَها المختار رايةٌ لعبدِ الله بنِ الحارث أخي إبراهيمَ ابنِ الأشتر على أرمينية، وبعثَ محمدَ بنَ عُمير بن عُطارد على أذَرْبيجان، وعبدَ الرحمن بن سعيد على الموصل، وإسحاقَ بنَ مسعود على المدائن، وسَعْدَ بنَ حذيفة على حُلْوان، وفرَّق عمَّالَه في البلاد.

وكان عبدُ الله بنُ الزبير قد ولَّى محمد بنَ الأشعث بن قيس على الموصل، فلما وصل إليها عبد الرحمن بن سعيد خرج عنها محمد، فنزل تكريت، فأقام بها لينظر ما يؤول إليه [أمرُ] الناس، ثم جاء إلى الكوفة، فبايعَ المختار.

وكان المختار يجلس فيقضي بين الناس، ثم أمر شُرَيْحاً، فكان يقضي بين الناس، فقال الناس: أليس قد عزل عليُّ بنُ أبي طالب شُرَيْحاً عن القضاء، وشهد شُرَيْح على حُجْر [بن عديّ] وأصحابِه، وكان شُرَيْح عثمانيّاً؟ وبلغه قولُ الناس، فخاف، فتمارضَ، فجعل المختارُ موضعَه عبدَ الله بنَ عتبة بن مسعود، ثم إن عبد الله مرض، فجعلَ المختارُ مكانَه عبدَ الله بنَ مالك قاضياً[٢].

ذكر مسير جيش المختار إلى ابن زياد، وقيام أهل الكوفة على المختار:

روى هشام بنُ محمد عن عَوَانة بن الحَكَم الكلبي قال: كان مروان بن الحَكَم قد جعلَ لعبيد الله بنِ زياد لمَّا بَعثه إلى العراق ما غَلَبَ عليه، وأمره بنهب الكوفة وبيبحها ثلاثاً، فمَرَّ بالجزيرة، وبها قيس عَيْلَان[٣] على طاعة ابن الزبير، وكان مروان قد أصاب

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٥ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٣٣ : الشاكري.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٣٣ـ٣٥ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٥ .

(٣) في (أ) و(خ): قيس بن عيلان، والمثبت من (ص). وفي هذا الموضع ينتهي الخرم في (ب) الذي بدأ ص٣١٥ أوائل السنة الخامسة والستين.

قيساً يوم مَرْج راهط، فأقام ابنُ زياد مشتغلاً بقيس نحواً من سنة، ثم أقبل إلى الموصل، فانحاز عبدُ الرحمن بنُ سعيد إلى تكريت، وكتب إلى المختار يعرِّفُه، فدعا المختارُ يزيد بن أنس وقال له: أنت صاحبُ الخيل التي تُوردُها منابتَ الزيتون، فاخرجْ[١]، فإني مُمِدُّك بالرِّجال والأموال.

فاختارَ من وجوه الفرسان ثلاثة آلاف، وخرج معه المختار يشيِّعُه وقال له: إذا لقيتَ عدوَّك فلا تُناظره، وإذا أمكنَتْك الفرصة فلا تُؤخِّرْها، وليكن خبرُك كلَّ يوم عندي.

وسار يزيد بالجيش، فبات بسُورَا[٢]، ثم غدا بهم، فبات بالمدائن، ثم اعترض بهم أرض جُوخَى، وخرجَ بهم على الراذان[٣]، وقطعَ أرضَ الموصل، ونزل ببويلي[٤].

وبلغَ ابنَ زياد، فبعثَ إليهم ربيعةَ بنَ المخارق في ثلاثة آلاف، وأردفَه عبدَ الله بنَ حملة الخثعميّ في ثلاثة آلاف.

ومرض يزيد بن أنس، فركب على حمار، وجعل يقف على الأرباع يوصيهم ويقول: يا شرطةَ الله، اصبروا تُؤْجَرُوا، وقاتِلُوا عدوَّكم تظفروا، وإن هلكتُ فأميرُكم ورقاء بنُ عتَّاب[٥] الأسديّ، فإن هلك فأميرُكم عبد الله بنُ ضمرة العُذْري، فإن هلك فأميرُكم سِعْر بن أبي سِعْر الحنفي. وهؤلاء كلُّهم كانوا رؤوس الأرباع.

ثم جعل يزيدُ بنُ أنس عبدَ الله بنَ ضمرة العُذْري على ميمنته، وسِعْر بن أبي سعر على ميسرته، وورقة[٦] بن عتَّاب ـ أو ابن عازب ـ الأسدي على الخيل، ونزلَ هو فوُضعَ بين الرجال على سرير، ثم قال: قاتِلُوا عن أميركم إن شئتُم، أو فِرُّوا عنه.

---

(١) يعني إلى الموصل، كما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩ ، وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٦ .

(٢) موضع بالعراق من أرض بابل، قريبة من الحِلَّة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٧٨ .

(٣) جُوخَى وراذان (الأسفل والأعلى) من سَواد بغداد. وينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٧٩ ، و٣/ ١٢ . وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٠ : الراذانات.

(٤) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٠ : ببنات تلي، وفي «الكامل» ٤/ ٢٣٠ : بباتلي. ولم أقف على أيّ منها.

(٥) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٦ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٤١ ، و«الكامل» ٦/ ٢٢٩ : عازب. وسيرد في سياق الكلام: بن عتاب، أو ابن عازب.

(٦) كذا في النسخ الخطية المذكورة. وهو ورقاء المذكور قبل.

وكان ذلك في يوم عَرَفَة في ذي الحجة سنة ستٍّ وستين، واقتتلوا قبل طلوع الشمس، فلم يرتفع الضحى حتى هزموا[١] أهلَ الشام، وحمل ورقاء وعبدُ الله بنُ ضَمْرة على ابن المُخارق، فقتلاه، وحَوَوْا عسكرَهم وما فيه، وفرُّوا.

وكان ابنُ المخارق قد تقدَّم عبدَ الله بنَ حملة، فالتقى أهلَ الشام[٢] عبدُ الله بنُ حملة، فردَّهم، وأقبلوا معه، فبات مقابلاً لعسكر يزيد بن أنس، ثم أصبحوا على القتال، وذلك في يوم الأضحى، فهزمهم عسكرُ المختار أقبحَ من هزيمة أمسِ، وقتلوهم قتلاً ذريعاً، وانهزمَ ابنُ حملة حتى انتهى إلى ابن زياد فأخبره بما لَقُوا[٣].

وفي رواية أن عسكر المختار لما هَزَمُوا أهل الشام ترجَّل عبد الله بنُ حملة ونادى: يا أهل السمع والطاعة الكرَّةَ الكَرَّةَ[٤]. فحمل عليه عبد الله بنُ قُراد الخثعمي، فقتلَه، وحَوَى ما في عسكره، وأُتيَ يزيدُ بنُ أنس بثلاث مئة أسير، فضرب أعناقهم.

ومات يزيدُ بنُ أنس في آخر النهار، فصلَّى عليه ورقاء بن عازب الأسدي، ودفنَه، فلما رأى أصحابُه ذلك سُقط في أيديهم، وكسرَ موتُه قلوبَهم، فتسلَّلُوا، فقال لهم ورقاء: ماذا ترون؟ هذا عُبيد الله بنُ زياد في ثمانين ألفاً من أهل الشام، فأشيرُوا عليَّ، فإنَّما أنا واحدٌ منكم. فقالوا: قد هلك أميرُنا، وتفرَّقت عنا طائفة تسلَّلُوا من بيننا، فلو انصرفنا من قِبَلِ أنفسِنا من قَبْل لقاء عدوّنا، فيعلمون أنَّما[٥] رَدَّنا عنهم هلاكُ صاحبنا، وقد قَتَلْنا منهم أميرين، فلا يزالون لنا هائبين، ولو لقيناهم لكنَّا مخاطرين. فقال: هذا هو الرأي. فرجعوا على حامية لم يفقدوا غير يزيد بن أنس[٦].

وبلغ أهلَ الكوفة رجوعُهم، ولم يعلموا السبب، وأُرْجِفَ أهلُ الكوفة بأنه قد هُزموا، فدعا المختارُ إبراهيمَ بنَ الأشتر، فعقدَ له على سبعة آلاف رجل، وقال له: سِرْ

---

(١) وقع سهو لناسخ (ب) فكتب بعد هذا الموضع حوالي لوحة ونصف من موضع آخر، وهو الآتي قريباً من قول شبث: حتى أخرج إلى أصحابي. ونُبِّه في هامشها على أن يؤخّر هذا الكلام.

(٢) يعني المنهزمين ممن كان في جيش ربيعة بن المخارق.

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٤١ـ٤٢ .

(٤) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٢ : الكرَّةَ بعد الفَرَّة .

(٥) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٣ : أنّا إنّما.

(٦) المصدر السابق. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٧ .

حتى تلقى جيش ابنِ أنس، فارْدُدْهم معك، وسِرْ حتى تلقى عدوَّك، فتُناجزَهم. فخرج ابنُ الأشتر، فعسكر بحمَّام أعْيَن. وهذه رواية هشام[١].

وقال أبو مِخْنَف[٢]: لما مات يزيدُ بنُ أنس اجتمع أشرافُ أهلِ الكوفة وقالوا: قُتل ابنُ أنس، وتأمَّر هذا الرجل علينا بغير رضاً منَّا. يعنون المختار. ولقد أدنى عبيدَنا، فأطمعهم فينا. واتَّعدوا منزل شَبَث بن رِبْعيّ، وقالوا: نجتمع في بيت شيخنا وكبيرنا. وكان شَبَث جاهلياً إسلاميّاً. وتحدَّثوا وقالوا: لم يكن شيء أشدَّ علينا ولا أعظم من جَعْلِ المختار للموالي والعبيد من الفَيْء نصيباً[٣]، فقال لهم شَبَث بنُ رِبْعيّ: دعُوني ألقى المختار.

فلقيَه في منزله، فذكر خصالاً نقموها على المختار، فقال: أنا أُرضيهم بكلِّ ما أحبُّوا. قال شَبَث: فتردُّ عبيدَهم إليهم، ولا تجعلُ لهم نصيباً في الفيء. فقال: أنا أفعل ذلك؛ على أن تُقاتلوا معي بني أمية وابنَ الزُّبير. فقال شبث: ما أدري حتى أخرج[٤] إلى أصحابي، وأُفاوضَهم في ذلك. وخرج فلم يعد إليه.

واتفقوا على قتال المختار، وهم: شَبَث بن رِبْعيّ، وشَمِر بن ذي الجَوْشَن، ومحمد ابن الأشعث، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وكعب بن أبي كعب الخثعمي، وأشراف أهل الكوفة، وقالوا: زَعَمَ أن محمد بن الحنفية ولَّاه، ولم يكن كذلك.

قال: وأشار عليهم عبد الرحمن بنُ مِخْنَف أن لا تفعلوا، وقال: أخافُ أن تتفارقوا وتتخاذلوا وتختلفوا[٥]، ومع المختار فرسانُكم وشُجعانكم، منهم فلان وفلان، ثم معه مواليكم وعبيدُكم، وكلمتُهم واحدة، وعبيدكم[٦] أشدُّ حنقاً عليكم من عدوّكم، فهو مُقاتِلُكم بشجاعة العرب، وعدواة العجم، وإن انتظرتموهم قليلاً كُفيتُموهم بقدوم أهل

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٤٢ـ٤٣ . والرواية فيه عن هشام عن أبي مخنف.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في (ص): شيئاً.
(٤) في (ب): أرجع. وفي هذا الموضع نهاية الكلام الذي سها فيه ناسخها، وأشرتُ إليه من قبل.
(٥) في (أ): يتفارقوا ويتخاذلوا ويختلفوا.
(٦) في (ص): وعبيدهم.

الشام وعساكر [أهل] البصرة، وتكونوا قد كُفيتُم بغيركم، ولا تجعلوا بأسَكُم بينكم. فقالوا: ننشدك اللهَ أن تُخالفَنا، وتُفسد علينا رأينا. قال: فاصبروا حتى يذهب عنه ابنُ الأشتر، ويصلَ ساباط[١].

فلما سار ابنُ الأشتر إلى ساباط؛ ثارُوا بالمختار ـ وتسمى هذه الوقعة وقعة جبَّانة السَّبِيع ـ فخرج عبد الرحمن بنُ سعيد بن قيس الهَمْداني في هَمْدان، فنزل جَبَّانَةَ السَّبِيع، وخرج زَحْر ابنُ قيس الجُعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث إلى جَبَّانة كِنْدة[٢]، وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جَبَّانة [بِشْر]، وسارَ بِشْر[٣] بن جرير في بَجِيلَة، وخرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن في قيس، فنزل جبَّانةَ بني سَلُول، وخرج شَبَث بن رِبْعيّ، ومحمد بن الأشعث، وحجَّار بن أبجر، وعَمرو بن الحجَّاج الزَّبيديّ، وقتلةُ الحسين، فنزلوا جَبَّانةَ السَّبِيع، واجتمعوا في مكان واحد، فسُرَّ المختار باجتماعهم في مكان واحد.

وبعثَ المختار إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط مع عَمرو بن بُويه[٤] يقول أَلَّا تضعَ كتابي من يدك حتى تُقبل بجميع من معك. فركضَ عَمرو بكتابه.

وأمر المختارُ أصحابَه بالكفّ عن القتال، فأرسل إليهم: ماذا تريدون؟ قالوا: زعمتَ أنَّ ابنَ الحنفية أرسلك، ولم يُرسلك. قال: فابعثوا إليه وفداً يسألونه، وأرادَ مطاولتَهم حتى يصلَ ابنُ الأشتر.

ووصلَ رسولُ المختار إلى ابن الأشتر عشيَّةَ ذلك [اليوم]، فسارَ ليلاً بمن معه، فقدمَ الكوفة في اليوم الثالث من خروجهم على المختار، فسار ابنُ الأشتر على الكُناسة، وسار المختار إلى جَبَّانةِ السَّبِيع، واقتتلوا قتالاً شديداً، فظهر عليهم المختار وابنُ الأشتر، وأخذوا منهم خمس مئة أسير، فكان يسألُ عن الرجل: هل شهدَ قتلَ

---

(١) وكان المختار قد أرسل ابنَ الأشتر لردّ جيش يزيد بن أنس وأن يسير بهم للقاء ابن زياد كما سلف الكلام، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ١٨ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٧ . وساباط هي ساباط المدائن، في الجانب الغربي من دجلة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٦٦ ، و«الروض المعطار» ص ٢٩٦ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٢) في الخبر تفصيل، وهو من أكثر من رواية. يقارن بما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٥ .

(٣) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٥ : بشير.

(٤) كذا في (أ) و(ب) و(خ)، وعلى الباء في (ب) ضمة، وفي (ص): نوبة، وفي «تاريخ» الطبري ٦/ ٤٦ ، و«البداية والنهاية» ١٢/ ١٨ : توبة.

الحسين؟ فإن قيل: نعم، ضرب عنقه، فقتل عامَّتَهم، ونادَى مُنادِي المختار: مَنْ أغلقَ بابَه فهو آمن، إلا رجلاً[1] شَرَكَ في دم آل محمد ﷺ.

ذكر من قَتَلَ المختارُ من قَتَلَةِ الحسين ومن هربَ منهم:

قال علماء السِّير: ولمَّا سمع الناس منادي المختار؛ خرج عَمرو بنُ الحجَّاج الزّبيدي ـ وكان ممَّن شهد قتل الحسين ـ فركبَ راحلتَه، وأخذ طريق واقصة، فلم يُر[2] حتى الساعة[3].

وقُتل فرات بن زَحْر بن قيس، وزَحْر هو الذي بعثَه ابنُ زياد برأس الحسين إلى يزيد.

وبعث المختارُ غلاماً له يقال له: زِرْبِيّ[4] في طلب شَمِر بن ذي الجَوْشن، فلحقه ببعض الطريق ومعه جماعة، فقَتَلَ شَمِرٌ زِرْبيّاً ونجا، وكان شَمِر قد نزل ساتِيدَما[5]، فقُتل هناك، وسنذكره في آخر السنة.

وقال أبو مِخْنَف: ولما عاد [المختار] إلى القصر من جبَّانةِ السَّبِيع؛ ناداه سُراقة بنُ مرداس البارقي ـ وقد أسروه ـ بأعلى صوته، وكان ممَّن خرج عليه:

اسْتُرْ[6] عليَّ اليومَ يا خَيْرَ مَعَدّ ... وخيرَ مَنْ حَنَى[7] ولبَّى وسَجَدْ

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): رجل. وأثبتُّ اللفظة على الجادة. ووقع في (م) (والكلام فيها مختصر جداً): إلا من شرك... وينظر الخبر مفصلاً في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٦ـ٥١ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٨ـ٥٩ .

(٢) في النسخ المذكورة: يُرى، وأثبتُّ اللفظةَ على الجادَّة.

(٣) يعني ساعة رواية الخبر، وراويهِ عامر الشعبي كما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٢ . ووقع في النسخ الخطية لفظة: القيامة، بدل: الساعة؛ نقل مختصر الكتاب لفظة «الساعة» بالمعنى، فحرَّفه إلى: «القيامة»! وهو من طرائف التصحيف. وعبارة «الكامل» ٤/ ٢٣٦ : فلم يُر له خبر حتى الساعة، وعبارة «البداية والنهاية» ١٢/ ١٩ : فلا يُدرى أين ذهب من الأرض.

(٤) في (ص) و(م): زرنبا، وفي (أ): زرينا، وفي (خ): رزينا. والعبارة في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٢ : وبعث المختار غلاماً له يُدعى زِرْبِيّاً. وأثبتُّ الاسم منه على سياق العبارة هنا. وسلف اسمه أيضاً ص٣٦٤ .

(٥) هو جبل قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحي، أو هو نهر بين آمِد وميَّافارقين من روافد دجلة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٦٨ـ١٦٩ ، و«الروض المعطار» ص ٢٣٣ .

(٦) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٤ : امْنُنْ.

(٧) كذا في (أ) و(ب) و(خ). وفي (ص): صلّى، وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٤ : حيَّا.

فأمرَ به المختارُ إلى السجن، ثم أحضره بعد ذلك، فأنشدَه:

أَلا أَبْلِغْ أبا إسحاقَ أنَّا ... نَزَوْنا نَزْوةً كانَتْ عَلَينا
خَرَجْنَا لا نَرى الضُّعفاء شيئاً ... وكان خُروجُنا بَطَراً وحَيْنَا
نَراهُم في مصافِهِمُ قليلاً ... وهم مِثْلُ الدَّبَى[1] حين التَقَيْنا

ومنها:

نُصِرْتَ على عدوِّك كلَّ يومٍ ... بكلِّ كتيبةٍ تَنْعَى حُسَيْنا
كنصر محمدٍ في يوم بدرٍ ... ويومَ الشِّعْبِ إذْ لاقَى حُنَيْنَا
فأَسْجِحْ إذْ ملكتَ فلو مَلَكْنَا ... لَجُرْنا في الحكومة واعتَدَيْنا
تَقَبَّلْ توبةً منّي فإنّي ... سأشكرُ إنْ جعلتَ النَّقْدَ دَيْنَا

فأراد قتله، فقيل: إنه يحلفُ بالله لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البُلْقِ بين السماء والأرض، فقال له المختار: فاصعد المنبر فأَعْلِم المسلمين ذلك. فصعد، فأخبرهم ثم نزل، فخلا به المختار وقال: قد علمتُ أنك لم تَرَ الملائكة، وإنما أردتَ أن لا أقتلَكَ، فاذْهَبْ حيث شئتَ، لا تُفسد عَلَيَّ أصحابي[2].

وخرج أشرافُ الكوفة إلى البصرة وفيهم سُراقةُ بن مِرْداس وهو يقول:

ألا أبْلِغْ أبا إسحاق أنّي ... رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمِتاتِ
كفرتُ بوَحْيِكُم وجعلتُ نَذْراً ... عليَّ قتالَكم حتى المماتِ
أُرِي عينيَّ ما لم ترأياه ... كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
إذا قالوا أقولُ لهم كَذَبْتُم ... وإنْ خرجوا لبستُ لهم لذاتي[3]

وفي رواية: أنه لما أُسر قال: ما أنتم أسرتُموني، ما أسَرَني إلا قومٌ على دوابَّ بُلْق، عليهم ثيابٌ بيض. فقال المختار: أولئك الملائكة. فأطلقَه[4].

---

(١) أي: الجراد.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٤ـ٥٥ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) و(خ). وفي (ص): لذاتي، ولم يتبيَّن لي. وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٥ ، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٢٣ : أداتي..

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٥٥ . وينظر «العقد الفريد» ٢/ ١٧٠ .

وسُراقةُ هذا هو الذي أغرى بين الأخطل وجرير حتى تهاجيا.

وكانت وقعة جَبَّانة السَّبيع يوم الأربعاء لستّ ليال بقين من ذي الحجة سنة ستّ وستين، وانجلت الوقعة عن سبع مئة وثمانين قتيلاً من القبائل[١].

وتجرَّدَ المختار لقَتَلَةِ الحسين وقال: إنْ تركتُ منهم أحداً يمشي على وجه الأرض فأنا الكذَّاب كما سَمَّوْني. اطلُبوا لي قَتَلَةَ الحسين، فإني[٢] لا يطيبُ لي طعامٌ ولا أُسِيغُ[٣] الشرابَ حتى أُطَهِّرَ الأرضَ منهم، ولا أُبقي في المصر أحداً. فدُلَّ على جماعة، منهم عبدُ الله بنُ أسيد بن النَّزَّال الجُهنيّ، ومالك بن نُسير[٤] البَدِّيّ، وحَمَلُ ابنُ مالك المحاربيّ، وكانوا بالقادسية، فأُخذوا، فأُدْخِلُوا على المختار، فقال لهم: يا أعداء الله وأعداءَ كتابه ورسوله وآل بيته، قتلتُم من أُمِرتُم بالصلاة عليه في الصلاة! فقالوا: بُعثنا ونحن كارهون، فامنُنْ علينا. فقال المختار للبَدِّيّ: أنتَ صاحبُ بُرْنُسِهِ؟ فقال عبد الله بن كامل: نعم، هو هو. فقال: اقطعوا يديه ورجليه. ففعلوا، فقال: دعُوه فليضطرب حتى يموت. فتُرك، فنزفَ الدمُ حتى مات، وقَتَلَ الآخَرَ[ين]، وقتلَ خلقاً كثيراً ممَّن قاتلَ الحسين وشهدَ قتلَه[٥].

وبعثَ أبا عَمْرَة صاحب حَرَسِه، فأحاطَ بدار خوليّ بن يزيد الأصبحي ـ وهو الذي حملَ رأس الحسين إلى ابن زياد ـ فاختبأ في مخرجه، فقال أبو عَمرة لامرأة خولي: أين زوجك؟ فقالت: لا أدري. وأشارَتْ بيدها إلى المخرج، فدخلوا عليه، وإذا به قد وضع على رأسه قَوْصَرَّة[٦]، فأخرجوه، وأتَوْا به المختار، فقتلَه إلى جانب مَنْ قَتَلَ من أهله، وحرَّقه، وكانت امرأتُه من حضرموت يقال لها: العَيُوف بنت مالك بن نهار بن عقرب، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٦ـ٥٧ .

(٢) في (ص): فإنه.

(٣) في (ص): ولا يشبع لي (ولعلها يسيغ). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٧ : يسوغ.

(٤) في (أ) و(ص): بشير.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧ـ٥٩ . وما بين حاصرتين مستفاد منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٧ .

(٦) هو وعاء للتمر من قصب.

(٧) تاريخ الطبري ٦/ ٥٩ـ٦٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٥ .

وقتل المختار عُمر بنَ سعد، وسنذكره في آخر السنة.

وبعث المختار عبدَ الله بنَ كامل إلى حكيم بن طُفيل الطائي السِّنْبِسيّ ـ وكان رمى الحسين بن عليّ بسهم، فكان يفتخر ويقول: رميتُ الحسين بسهم، فتعلَّق بسرباله، وأخذَ سَلَبَ العبَّاس بن عليّ بعد ما قُتل ـ فأخذه عبد الله بنُ كامل، فاستغاثَ أهلُه بعَدِيّ بنِ حاتم، فقال له ابن كامل: الأمر في هذا إلى المختار. فمضى عديٌّ إلى المختار، وكان قد شفَّعه في جماعة، فقالت الشيعة لابن كامل: نخاف أنَّ المختار يُشَفِّعُ عديّاً في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت، فَدَعْنا نقتُلْه. فقال: افعلوا. فنصبوه غَرَضاً، وقالوا: سلبتَ العبَّاس ثيابَه، واللهِ لَنَسْلُبَنَّكَ ثيابَك وأنت حيّ. فنزعُوها عنه. وقالوا: جعلتَ حُسيناً غَرَضاً لِنَبْلك، وايْمُ اللهِ لنفعلنَّ بك كما فعلتَ به. فرَمَوْه رَشْقاً واحداً حتى مات. وكان المختار قد شَفَّعَ عَدِيّاً فيه، فلما قتلُوه جرى بين عديٍّ وابنِ كامل كلامٌ[1].

وبعث المختار إلى قاتل عليّ بن الحُسين ـ واسمه مُرَّة بن منقذ العبديّ ـ فأتاه ابنُ كامل، فأحاطَ بداره، وكان شجاعاً، فخرج إليهم وهو على فرس وبيده رمح، فحملَ عليهم، فطعنَ واحداً يقال له: عُبيد الله بن نَاجية الشبامي، فصرعه ولم يُضِرْه، وضربه ابنُ كامل بالسيف، فاتَّقاه بيده اليسرى فأسرع فيها [السيف] ثم نجا، ولحق بالبصرة، وشَلَّتْ يدُه[2].

وبعث المختار عبدَ الله الشاكري إلى قاتل عبد الله بن مسلم بن عَقِيل، واسمُ الرجل زيد بن رُقاد، وكان يقول: لقد رميتُ فتًى منهم بسهم، فأثبتُّ كفَّه في جبهته كان يتَّقى بكفِّه النَّبْل، ثم إنني رميتُ الغلام بسهم آخر فقتلتُه، والغلام هو عبدُ الله بنُ مسلم، فلما أحاطوا بداره خرج مُصْلِتاً بسيفه، فقال ابنُ كامل: لا تضربوه بسيف إلا بالحجارة. فضربوه حتى سقط وبه رمق، فأحرقوه وفيه رُوحٌ بعد.

وطلب المختار سنان بن أنس الذي ادَّعى أنَّه قتلَ الحسين، فوجده قد هرب إلى البصرة، فهدم داره[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٦٢ـ٦٤ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٦ .

(٢) أنساب الأشراف ٦/ ٦٨ ، وتاريخ الطبري ٦/ ٦٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦٤ـ٦٥ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٦ .

وطلب المختار محمد بن الأشعث بن قيس، فهرب إلى البصرة[١].

واختلفوا في شَبَث بن رِبْعيّ فقال قوم: قتله المختار، وقيل: مات على فراشه.

وذكر ابنُ سعد ما يدلُّ عليه، فإنه ذكره في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة وقال[٢]: شَبَث بن رِبْعيّ، ويكنى أبا عبد القدُّوس بن حُصين بن عُثيم بن ربيعة بن زيد التميمي.

وحكى ابن سعد[٣] عن الأعمش قال: شهدتُ جنازة شَبَث بن رِبْعيّ، فأقاموا العبيد على حِدَةٍ، والجواريَ على حِدَةٍ، والخيل على حِدَة، والنُّوقَ على حدةٍ، والبُخْت على حِدَة. وذكر الأصناف قال: ورأيتُهم ينوحون عليه يلتدمون.

ولم يذكر تاريخ وفاته، وذكره فيمن روى عن عثمان، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وطلحة والزُّبير، وأسامة بن زيد، وأبي مسعود الأنصاري، وعَمرو بن العاص، وابنِه عبد الله بن عَمرو، ولم يرو عن عُمر وعليّ وابنِ مسعود شيئاً[٤].

وسنذكرُ في آخر السنة أعيان قتلة الحسين، وما يتعلق بذلك.

فصل

وفي هذه السنة بعثَ عبدُ الملك بنُ مروان جيشاً إلى المدينة لقتال مصعب بن الزبير، وبلغ المختارَ، فبعثَ جيشاً لمصعب؛ ظاهرُ الأمر نجدةٌ على عبد الملك، وباطنُ الأمر أنَّه ممكرٌ[٥] بابن الزُّبير.

قال هشام عن أبي مِخنف: كان عبد الله بن مطيع لما أُخرج[٦] من الكوفة لم ير القُدوم على ابن الزبير مكةَ على ذاك الوجه[٧]، فسار إلى البصرة، وأقام حتى قدم عليه

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٦٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٣٥ .

(٣) المصدر السابق ٨/ ٣٣٥ـ٣٣٦ .

(٤) المصدر السابق ٨/ ٣٣١ .

(٥) كذا في النسخ. ولعله اسم فاعل من أمكر، لغة في مكر.

(٦) في (ص): خرج.

(٧) يعني مهزوماً مَفلولاً، ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٧١ . و«الكامل» ٤/ ٢٤٦ .

عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقاما جميعاً بالبصرة، وسبب قدوم عمر ابن عبد الرحمن البصرة؛ أنَّ المختار كتبَ إلى ابن الزُّبير يخادعُه ويقول: قد عرفتَ مناصحتي إياك وجهادي لعدوِّك وما كنتَ أعطيتَني إذا أنا فعلتُ ذلك، فلمَّا وفَيتُ لك لم تَفِ لي بما عاهَدْتَني عليه، وقد رأيتَ منِّي ما رأيتَ، فإنْ تُرِدْ مراجعتي أراجِعْك، وإنْ تُرِدْ مناصحتي أَنْصَحْ لك. والسلام.

وإنما قصد المختار أن يستجمعَ له الأمر، وهو لا يُطلع الشِّيعة على ذلك، بل يُظهر أنَّه وزيرُ ابنِ الحنفيَّة.

فدعا ابنُ الزبير عمر بنَ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميَّ وقال له: اذْهبْ إلى الكوفة، فقد ولَّيْتُكَها. قال: فإنَّ المختار بها؟ قال: فإنه سامعٌ مطيع.

فجهَّزه بأربعين ألفاً[1]، وعَلِمَ المختار، فبعثَ إليه من الطريق بثمانين ألفاً ـ وقيل: بسبعين ألفاً[2] ـ وقال: اذهبْ حيث شئتَ، ولا تقرب الكوفة، فمضى إلى البصرة.

وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك بنَ الحارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى، والمختارُ لابن الزُّبير مُكايدٌ ومخادِع، فكتب إلى ابن الزبير:

قد بلغني أنَّ عبد الملك [بن مروان] قد جهَّزَ جيشاً إلى وادي القُرى، فإنْ أحببتَ أمْدَدْتُك.

فكتب إليه ابنُ الزُّبير: إنْ كنتَ على طاعتي وتُبايع الناس لي قِبَلَكَ؛ صدَّقْتُ مقالتَك، وكفَفْتُ جنودي عن بلادك، وعجِّلْ بتسريح الجيش لِيَلْقَوْا مَنْ بوادي القُرى.

فدعا المختار شُرَحْبيل بنَ وَرْس الهَمْداني، فجهَّزَه في ثلاثة آلاف أكثرُهم من الموالي، وقال له: سِرْ حتى تأتيَ المدينةَ، فإذا دخَلْتَها فاكتُبْ إليَّ بذلك حتى يأتيَك أمري. وكان في عزمه إذا دخلوا المدينة أنْ يبعثَ عليها[3] أميراً من قِبَله، ويأمرَ ابنَ وَرْس أن يمضيَ إلى مكَّة، فيحاصرَ ابنَ الزُّبير.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٢ : فتجهَّزَ بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألفاً..

(٢) يعني أن المختار أرسل إليه ضعفَ ما أنفق في مسيره، كما في المصدر السابق. ووقع في (أ): بتسعين ألفاً.

(٣) في (ص): إليها.

وخافَ ابنُ الزبير مكيدةَ المختار، فأرسلَ من مكةَ عبَّاسَ بن سهل في ألفين، وقال له: إنْ رأيتَ القوم في طاعتي، وإلَّا فكايدهم حتى تُهلكهم.

وسار عبَّاس، فالْتَقَوْا على الرَّقَم[١] وشُرَحْبيل على تعبئة، وعبَّاس على غير تعبئة، فقال له عبَّاس: ألستَ في طاعة ابن الزبير؟ فقال له ابنُ وَرْس: بلى. قال: فسِرْ بنا إلى عدوِّنا إلى وادي القُرى. فقال ابن وَرْس: إنما أُمرتُ أن آتيَ المدينةَ، فإذا نزلتُها رأيتُ رأيي، وكتبتُ إلى صاحبي فيرى رأيه. فرَدَّدَ عليه القول وهو لا يرجعُ عن الأوَّل، فعلم خلافه، فسكتَ ولم يُظهر له شيئاً ممَّا في نفسه.

ومضى فنزل على الماء، وبعثَ إلى ابن وَرْس بجزائر ودقيق وغنم، وكان ابنُ وَرْس قد جاع هو وأصحابُه، فاشتغلوا بالذبح والطبخ، فركب عبَّاس في أصحابه، وحملَ على القوم، فنادى ابنُ وَرْس أصحابَه: إليَّ يا شُرَطَةَ الله، فإنَّ المُحِلِّين الملحدين قد فجروا وغَدَروْا[٢]. فلم يوافِ إليه من أصحابه سوى مئة رجل، فثبتَ وقاتل حتى قُتل في سبعين من أهل الحِفاظ، وانهزم الباقون، ومات بعضُهم بالعطش. وقيل[٣]: معظمُهم.

وبلغ المختارَ، فكتبَ إلى محمد بن الحنفية: أما بعد، فإني كنتُ بعثتُ إليك جنداً ليُذِلُّوا لك الأعداء، ويحوزوا لك البلاد، فسارُوا إليك حتى إذا أطلُّوا[٤] على طيبة، لَقِيَهم جندُ الملحد، فخدعوهم وغَرُّوهم، حتى إذا اطمأنُّوا إليهم ووثقوا بهم؛ وثَبُوا عليهم فقتلوهم، فإنْ رأيتَ أنْ أبعثَ[٥] إلى المدينة جنداً كثيفاً، وتبعثُ إليهم من قِبَلِكَ رُسُلاً ليعلم[٦] أهلُ المدينة أنّي في طاعتك، فافعلْ.

---

(١) بفتح أوله وثانيه: جبال دون مكة بديار غطفان، وماء عندها أيضاً. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٥٨ . ووقع في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٣ : الرقيم. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٥ .

(٢) في (أ) و(ب) و(خ): وعَدَوا، وفي (ص): بَغَوا علينا وفجروا. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٧٤ .

(٣) في (أ) و(ب) و (ص): وقُتل. والمثبت من (خ) وهو المناسب لما في عبارة الطبري ٦/ ٧٤ : فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٦ .

(٤) في (خ): اطلعوا، وفي (ص): أظلوا. وكذلك هي في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٥ . والمثبت من (أ) و(ب).

(٥) المثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٦ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٧٥ ، ووقع في النسخ: فإني رأيتُ أني أبعثُ وهو خطأ.

(٦) في (أ) و(ب): لتعلم.

فكتب إليه ابنُ الحنفية: أما بعد، فإني لو أردتُ القتال لوجدتُ الناس سراعاً إليَّ والأعوانَ كثيراً، ولكنّي قد اعتزلتُ الناس، وصبرتُ حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين. وقال لرسول المختار إليه ـ واسمه صالح بن مسعود ـ قل له: فليتَّقِ الله، وليكفَّ عن الدماء[١]، وعليه بطاعة الله[٢].

وفيها حبسَ عبدُ الله بنُ الزُّبير محمد بن الحنفيَّة ومن كان معه من أهل بيته وسبعةَ عشرَ[٣] رجلاً من أشراف الكوفة.

وسببُه ما حكاه هشام بن محمد عن أبي مِخْنَف أنَّ ابنَ الزُّبير أرسل إليهم: بايِعُوا. فقالوا: حتى يجتمع الناس على إمام[٤]. فحبَسَهم، وتوعَّدهم بالقتل والحريق، وضربَ لهم أجلاً لئن لم يبايعوا فيه ليحرقنَّهم، وحبسَهم في زمزم.

فأرسلوا إلى المختار، وأخبرُوه بالحال، وقالوا: قد تَواعَدَنا بالقتل والحريق، فلا تخذُلُونا كما خذلتُم الحسين وأهلَ بيته.

فلما وصل كتابُه[٥] إلى المختار؛ جمع الشيعة، وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديِّكم وصريحُ أهل بيت نبيِّكم ﷺ، وقد أصبح محصوراً ينتظرُ القتل والحريق. وقال: لستُ أبا إسحاق إن لم أنصره نصراً مؤزَّراً. ثم سجع فقال: وأُسَرِّبُ إليهم الخيل في إثر الخيل، كالسَّيْلِ يتلُوه السَّيْل، حتى يَحُلَّ بابنِ الكاهليَّة الوَيْل.

ثم جهَّز إليهم أبا عبد الله الجَدَليّ، وظَبْيَان بن عثمان[٦] التميمي، وعُمير بن طارق، وغيرهم، في مئة وخمسين فارساً أوَّلاً فأوَّل[٧]، ويُسمَّوْن الخشبيَّة؛ لأنهم كانوا يقاتلون بالخشب، فقدموا مكة وهم ينادون: يا لَثارات الحسين. فأَتَوْا زمزم وقد أعدَّ ابنُ الزُّبير

---

(١) في (خ): الدنيا.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٧٥. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٦.

(٣) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): تسعة عشر، والمثبت من (م) وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٦.

(٤) في (ب): أمر.

(٥) في (م): كتابهم.

(٦) في «تاريخ الطبري» ٢/ ٧٦: عمارة، وهو الأشبه، فلم يرد ذكر لظبيان بن عثمان في المصادر.

(٧) في الكلام تفصيل غير هذا، فظبيان بن عثمان (أو ابن عمارة كما في التعليق قبله) لم يكن مع المئة والخمسين هؤلاء الذين وصلوا أولاً إلى الحرم. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٧٦-٧٧.

الحطب على بابها، وقد بقيَ من الأجل يومان. فكسروا بابَ زمزم، ودخلوا على ابنِ الحنفيَّة، فقالوا: خَلِّ بيننا وبين القوم. فقال: إنِّي لا أستحلُّ القتال في حَرَم الله.

وخافَهم ابنُ الزُّبير[١]، وخَرجَ ابنُ الحنفيَّة ومن معه إلى شِعبِ عليّ، وتتابعت جيوش المختار، حتى صار محمد في أربعة آلاف، وقدموا معهم بمال من عند المختار، فقسمه محمد في ذلك الجيش[٢].

وقيل: إنَّ ابنَ الزبير امتنعَ من إخراجهم حتى يُبايعوا، فقال له أبو عبد الله الجَدَليّ: وربِّ الرُّكن والمقام، والحِلِّ والحرام، لتنتهينَّ أو لنُجالِدَنَّك[٣] بأسيافنا جِلاداً يرتابُ منه المبطلون. ثم قالوا لمحمد: خلِّ بيننا وبين المُحِلّ[٤]. فنهاهم عن القتال.

وقد أخرج البخاريُّ[٥] أنَّ ابنَ الزُّبير لمَّا دعاهم إلى البيعة قال ابنُ عبَّاس: وأين بهذا الأمر عنه؟ وأبوه حواريُّ رسول الله ﷺ. وسنذكرُ الحديث فيما بعد.

وقال الهيثم: إنَّما حبسَهم في حبس عارم[٦].

فصل

وفيها جهَّز المختار إبراهيمَ بنَ الأشتر لقتال أهل الشام، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ستّ وستين، وقيل: سلخ ذي الحجة، وجهَّز معه وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم ممَّن قد شهد الحروب. وخرج المختار يشيِّعُه والكرسيُّ[٧] بين يديه، وكان سادنُه حَوْشَب البُرْسُمي[٨]، والمختار يقول:

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٦ـ٧٧ أنه قدم إليهم أبو المعتمر في مئة، وهانىء بن قيس في مئة، وظبيان بن عثمان في مئتين... فلما رآهم ابنُ الزبير خافهم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): لنُجادلنَّك، وأثبتُّ اللفظة أعلاه لقوله بعده: جِلاداً في النسخ المذكورة غير (ص)، فوقع فيها جدالاً. وعبارة الطبري ٦/ ٧٧ كما هو مثبت.

(٤) في (ص): القوم.

(٥) بنحوه في «صحيحه» (٤٦٦٥) وهو قطعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) قال ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٦٦: أظنُّه بالطائف.

(٧) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): بشيعة الكرسي، وفي (أ): يشيّعه الكرسي. وفي (م): بشيعته والكرسي. والمثبت مناسب لما في «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٧، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨١.

(٨) نسبة إلى بُرْسُم، بطن من حِمْير. ينظر «اللباب» ١/ ١٣٩.

أَمَـا وربِّ الـمُـرْسَـلاتِ عُـرْفـا لَـنَـقـتُـلَـنَّ بـعـدُ صـفّـاً[١] صـفَّـا
وبـعـدَ ألـفٍ قـاسـطـيـن ألـفـا

ثم أوصى ابنَ الأشتر فقال: إذا لقيتَ عدوَّك فَنَاجِزْهم ساعةَ تَلْقاهُم، وإنْ لقيتَهم ليلاً أو نهاراً؛ فناجِزْهم حتى يحكم الله بينك وبينهم.

ثم عاد إلى الكوفة، وباتَ ابنُ الأشتر بحمَّام أعين، ومنه سار في جيشٍ كثيف[٢].

حديث الكرسي الذي كان يستنصر به المختار:

واختلفوا فيه؛ فقال قوم: إن هذا الكرسيَّ كان لرجل زيَّات من أهل الكوفة، فقال الطُّفيل بن جَعْدة بن هُبيرة: احتجتُ إلى شيء من الورق [لكي أنتفع به] وكان الزيَّات جاراً لي وقد علاه الوسخ عنده، فخطر ببالي لو كان للمختار في هذا شيء. فقلتُ للزيَّات: أرْسِلْ إليَّ بالكرسي. فأرسَلَه[٣] إليّ، فأتيتُ المختار، فقلت له: ههنا كرسي فيه أثارَةٌ من علم؛ كان يجلسُ عليه جَعْدة بنُ هبيرة[٤].

وقال أبو اليقظان: إنَّ الطفيل قال للمختار: إنَّ هذا الكرسيّ كان لأمير المؤمنين عليّ. فقال: عليَّ به. فحُمل إليه، فأمر للطُّفيل باثني عشر ألفاً. ثم دخل المختارُ المسجد، وصَعِدَ المنبر واجتمع الناس، وقد غشَّى الكرسيَّ بالديباج، فقال: أيُّها الناس، إنه لم يكن في الأمم الخالية أمرٌ إلا وكان في هذه الأمة مثلُه، وقد كان في بني إسرائيل التابوت، فيه بقيَّةٌ مما ترك آلُ موسى وآلُ هارون، وإنَّ هذا فينا مثلُ التابوت، اكشفوا عنه، [فكشفوا عنه] أثوابَه، وقامت السَّبئيَّة، فرفعوا أيديَهم وكبَّروا ثلاثاً، وقام شَبَث بن رِبعي، فقال: يا معشر مضر، لا تكفروا بالله العظيم. فضربوه وأخرجوه[٥].

وروى هشام عن أبي مِخْنَف أنَّ المختار قال لآل جَعْدة بن هُبيرة بن أبي وَهْب المخزومي ـ وكانت أمُّ جَعْدة بن[٦] هُبيرة أمَّ هانىء بنت أبي طالب ـ: ائتوني بكرسيّ

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٧ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨١ : بعد صفّ.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٨١ـ٨٢ .
(٣) في (ص): فأرسل به.
(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٨٢ـ٨٣ .
(٥) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٨٣ .
(٦) في (ب) و(خ): بنت. وهو خطأ.

عليّ بن أبي طالب. فقالوا: لا والله، ما هو عندنا، وما ندري من أين نجيء به[١]. فقال: لابدّ. فجاؤوه بكرسيّ، فقَبِلَه منهم، وغشَّاه بالحرير والدِّيباج.

وكان أول من سَدَنَهُ موسى بن أبي موسى الأشعري، وأمُّه أمُّ كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب، ثم سَدَنَه بعد ذلك حَوْشَب البُرْسُمي، إلى أن هلك المختار[٢].

وبنو جَعْدة أصهارُ عليٍّ عليه السلام.

ثم إن المختار غشَّاه بالحرير والدِّيباج، وحلَّاه بالذهب والفضة، وكان المختار إذا قاتل قدَّمه بين يديه، ودعا يستنصر[٣] به، وتؤمِّنُ السَّدَنةُ على دعائه: وكان من دعائه: اللهمَّ لا تؤاخذنا بما فعل السُّفَهاء منَّا، اللهمَّ انْصُرْنا على من ناوأنا[٤].

وكان يقدِّمُه [بين يديه مثل تابوت بني إسرائيل، وكان] بين يديه يومَ جبَّانة السَّبِيع، فنُصر على القوم، فافتُتن الناسُ به[٥].

فصل:

وحجَّ بالناس في هذه السَّنَة عبدُ الله بنُ الزبير، وكان على المدينة أخوه مصعب بنُ الزبير من قِبَلِ أخيه عبدِ الله، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى قضائها هشام بنُ هُبيرة، وكان على الكوفة المختار قد غلب عليها، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم[٦].

---

(١) في (م): فقالت: والله ما ندري أين هو، وما هو عندنا، ومن أيّ الأماكن نجيء به؟

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٩ـ٧٠ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨٤ـ٨٥ .

(٣) في (م): حتى يستنصر.

(٤) لم أقف عليه، غير أن قوله: «اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا» هو من قول ابن الأشتر لما رأى أصحاب الكرسيّ يستنصرون ويدعون. ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٧ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨٢ .

(٥) لم يرد في المصادر المذكورة أن الكرسيّ كان معه يومَ جَبَّانة السَّبيع، وإنما فيها أنه كان معه يوم قتاله ابن زياد. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٨٣ ، و«الكامل» ٤/ ٢٥٩ ، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٣٧ . وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٦) تاريخ الطبري ٦/ ٨٠ـ٨١ .

وعلى الشام عبدُ الملك بن مروان وعماله، وعلى مصر عبد العزيز بن مروان، وعلى أرمينية والجزيرة محمد بنُ مروان، وعُبيدُ الله بنُ زياد نازلٌ بأرض الموصل.

وفيها توفيّ

أسماء بنُ حارثة

ابن سعيد بن عبد الله بن غياث من بني أفصى، من الطبقة الثالثة من المهاجرين[١]، وكنيتُه أبو هند[٢].

وكان هو وأخوه هند بن حارثة ملازمَيْن لخدمة رسول الله ﷺ، ومن أهل الصُّفَّة؛ لأنَّهما كانا فقيرَيْن.

وقال ابنُ سعد[٣]: وذكر بعض أهل العلم أنهم كانوا ثمانية إخوة، صحبوا النبيَّ ﷺ، وشهدوا[٤] معه بيعة الرضوان، وهم: أسماء، وهند، وخِداش، وذؤيب، وحُمْران، وفَضَالة، وسَلَمة، ومالك، بنو حارثة بن سعيد.

واختلفوا في وفاة أسماء بن حارثة، فقال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ستٍّ وستين وهو ابنُ ثمانين سنة.

قال: وسمعتُ أنَّه مات بالبصرة في أيام معاوية وولاية زياد عليها، وله صحبةٌ ورواية[٥].

وأخرج له ابنُ سعد حديثاً[٦].

قال: ومن ولد أسماء بن حارثة غَيْلانُ بن عبد الله بن أسماء بن حارثة، وكان من قُوَّاد أبي جعفر المنصور، وكان له ذكر في دعوة بني العبَّاس[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٦ .

(٢) في «الاستيعاب» ص ٦٥ : يكنى أبا محمد.

(٣) في «الطبقات» ٥/ ٢٢٧ .

(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): وشهد. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «طبقات» ابن سعد ٥/ ٢٢٧ .

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٧ .

(٦) المصدر السابق. والحديث في صيام يوم عاشوراء.

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٦ .

وليس في الصحابة من اسمه أسماء سوى رجلين، أحدهما هذا، والثاني: أسماء ابن وثَّاب[١]، له رواية[٢].

قال ابنُ سعد: وأمَّا هند أخو أسماء فمات في خلافة معاوية بالمدينة[٣].

وفيها توفّي

أسماء بن خارجة

ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزَاري، أحدُ الأجواد، من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل الكوفة، وكنيتُه أبو حسَّان، وكان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق.

ذكر طرف من أخباره:

حكى أبو القاسم ابن عساكر قال: أتى الأخطل الشاعر إلى عبد الملك بن مروان، فسأله في حَمالاتٍ تحمَّلها عن قومه، فأبى أنْ يُعطيَه إيَّاها، وعرض عليه نصفها، فأبى، وقدم العراق، فسألَها بشر بن مروان أخا عبد الملك، فقال له كما قال عبد الملك، فأتى أسماء بنَ خارجة، فسألَه إيَّاها، فتحمَّل عنه الكلّ [بعد أن أكرمه، وأجازه بجوائز سنيَّة] فقال:

إذا ما[٤] ماتَ خارجةُ بن حصن ... فلا مَطَرَتْ على الأرض السماءُ

ولا رجعَ البشيرُ بغُنْم جيشٍ ... ولا حَمَلَتْ على الظُّهْر النساءُ

فيومٌ منك خيرٌ من رجالٍ ... كثيرٍ حولَهم نَعَمٌ وشَاءُ

فبورك في بَنِيك وفي بنيهم ... وإن كثُروا ونحن لك الفِداءُ

---

(١) كذا في النسخ الخطية. وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٢١ : رئاب، وفي «الإصابة» ١/ ٥٩ : رياب، وفي «الاستيعاب» ص ٦٦ ، و«تجريد أسماء الصحابة» ص ١٧ : رِبَان، ولعله الصواب، وجاء في «القاموس» (ربن): وكِتاب: اسم لشخص من جَرْم، وليس في العرب رِبَان، بالراء، غيره، ومن سواه بالزاي.

(٢) المثبت من (م)، وفي غيرها: رؤية. وذكر حديثه ابنُ سعد، وهو في مخاصمته بني عقيل إلى النبي ﷺ في العقيق، فقضى به لجُرم. قال ابن حجر: وهو ماء في أرض بني عامر، وليس الذي بالمدينة. وذكر الذهبي في «التجريد» أن حديثه منقطع.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٧ .

(٤) لفظة «ما» من (أ) و(م).

وبلغَ عبدَ الملك فقال: عرَّضَ بنا الخبيث[١].

وقوله: خارجة بن حصن: فإنَّما أراد أسماء بن خارجة بن حصن، فحذفَ المضاف، وأقامَ المضاف إليه مُقامه.

قلت: حذفُ الاسم غيرُ مستحسن، ولو قال: إذا ما مات أسماءُ بنُ حصن، كان أحسن؛ لأنَّ نسبتَه إلى جدِّه أولى من حذف اسمه بمرَّة[٢].

واختلفوا في قائل الأبيات، فقيل: إنَّها للقَطامي[٣]. وذكرأبو الفرج الأصبهاني[٤] أنها لعبد الله بن الزَّبِير ـ بفتح الزاي ـ الأسدي.

وقال عبدُ الله بنُ بكر السهمي: لمَّا أراد أسماءُ بن خارجة أن يُهْدِيَ ابنتَه إلى زوجها قال لها: يا بُنيَّة، كُوني لزوجك أَمَةً يكنْ لكِ عبداً، ولا تدني منه فَيَمَلَّكِ، ولا تَتَباعَدِي عنه فيَتَغيَّرَ عليكِ، وكُوني له كما قلتُ لأمِّك [حين صحبتُها]:

خُذِي العفو مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ
فإنِّي رأيتُ الحبَّ في الصدر والأَذَى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

وقال الرِّياشي: قال أسماء بن خارجة لامرأته: اخْضِبِي لحيتي. فقالت: إلى كم نَرْقَعُ منك ما قد خَلَقَ؟ فقال:

عَيَّرْتِني خَلَقاً أَبْلَيْتِ[٥] جِدَّتَهُ ... وهَلْ رَأَيْتِ جديداً لم يَعُدْ خَلَقَا
كما لَبِسْتِ جديدي فالْبَسِي خَلَقي ... فلا جديدَ لمن لا[٦] يلبَسُ الخَلَقَا

وحكى أبو اليقظان قال: دخلَ أسماءُ بنُ خارجة على عبد الملك بن مروان، فقال له: بِمَ سُدْتَ الناس؟ فقال: هو من غيري أحسن. قال: لقد بلغني عنك خصال شريفة،

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٢ـ٣ (مصورة دار البشير) وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) قال ابن عساكر بإثر الخبر: الصواب: إذا مات ابنُ خارجة بن حصن... قلت: وعندئذ فلا حاجة لتقدير الحذف أو نسبته إلى جدِّه. والله أعلم.

(٣) أوردها له محمد بن سلّام في «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٣٩ـ٥٤٠ وفيه: إذا مات ابنُ خارجة بن حصن...

(٤) في «الأغاني» ١٤/ ٢٤٦ .

(٥) في (ب) و(خ): أبديتِ.

(٦) في (أ): لم.

فأنا عزمتُ عليك إلا ذكرتَ بعضها. فقال: أمَّا إذْ عزمتَ عليَّ؛ فَنَعَمْ. فقال عبد الملك: هذه أوَّلُها. فقال أسماء: ما سألني أحدٌ حاجة إلَّا ورأيتُ الفضلَ له عليَّ، ولا دعوتُ أحداً إلى طعام إلَّا ورأيتُ له المِنَّةَ عليَّ، ولا جلسَ إليَّ رجلٌ إلَّا ورأيتُ له الفضلَ عليَّ، ولا تقدَّمتُ جليساً بركبةٍ قط، ولا قصدَني قاصدٌ في حاجة إلَّا وبالغتُ في قضائها، ولا شتمتُ أحداً قطُّ؛ لأنه إنَّما يشتمُني أحدُ رجلين؛ إمَّا كريمٌ فكانت منه هفوة، فأنا أحقُّ بغفرها، وإمَّا لئيم، فأصونُ عرضي عنه، فقال له عبد الملك: حُقَّ لك أن تكون[1] سيِّداً شريفاً[2].

وقال ابن الكلبي: خرج أسماءُ بن خارجة في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة، فنزل في رياض مُعْشِبَة، وهناك رجلٌ من بني عبس نازلٌ، فلما رأى قِبابَ أسماءَ وأبنيتَه؛ قَوَّضَ أبنيتَه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنُك؟ فقال: لي كلبٌ هو أحبُّ إليَّ من ولدي، وأخاف أنْ يُؤذِيَكُم فيقتلَه بعضُ غلمانكم[3]. فقال له: أقِمْ، وأنا ضامنٌ لكلبك. ثم قال لغلمانه: إذا رأيتُم كلبَهُ قد ولَغ في قدوري وقِصاعي فلا تُهيجُوه. وأقامَ على ذلك مدَّة، ثم ارتحل أسماء، ونزل الروضةَ رجلٌ من بني أسد، وجاء الكلب على عادته، فضربَه الأسديُّ فقتلَه، فجاء العبسيُّ إلى أسماء، وقال له: أنتَ قتلتَ كلبي. قال: وكيف؟! قال: عوَّدْتَه عادةً ذهب يرومُها من غيرك فقُتل. فأمرَ له بمئة ناقة دِيَة الكلب[4].

وكانت وفاة أسماء في هذه السنة وهو ابنُ ثمانين سنة[5].

أسند عن عليٍّ، وابنِ مسعود، وروى عنه ابنُه مالك بن أسماء، وعليُّ بنُ ربيعة الأسدي.

---

(١) في (خ) و(م): حق له أن يكون...

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٣/ ٢ (مصورة دار البشير).

(٣) في (م): غلمانك.

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٣ـ٥ .

(٥) كذا في «مختصر تاريخ دمشق» ٤/ ٣٨٥ . ولم أجد هذا في مصورة دار البشير لـ «تاريخ دمشق»، وجاء فيه عن الزيادي ٣/ ٧ أنه مات وهو ابنُ تسعين سنة.

وفيها هلك

شَمِر بن ذي الجَوْشَن

الضِّبابي، حيّ[١] من بني كلاب.

وذكر ابنُ سعد أباه ذا الجَوْشَن، فقال: اسمه شُرحبيل بن الأعور بن عَمرو بن معاوية، وهو الضِّباب ـ بكسر الضاد ـ ابن كلاب بن ربيعة.

قال ابن سعد بإسناده عن عيسى بن يونس عن أبيه، عن جدِّه، عن ذي الجَوْشَن الضِّبابي قال[٢]: قدمتُ على رسول الله ﷺ بعد ما فرغ من بدر، فقلتُ: أتيتُك بابن القَرْحاء ـ يعني فرسه ـ فخُذْه، وكان يومئذٍ مشركاً، فقال له رسول الله ﷺ: «لا آخذُه، وإنْ شئتَ أنْ أقضيَك[٣] به المختار من دروع بَدْر؛ فعلتُ»[٤]. فقلتُ: ما كنتُ لأقضيَك اليوم فرساً بدرع[٥].

قال ابن سعد: قال محمد بنُ عمر: ثم أسلم بعد ذلك.

وفي رواية ابن سعد أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ قال لذي الجَوْشَن: «هل لك أن تكون من[٦] أوائل هذا الأمر؟». قال: لا. قال: «فما يمنعُك؟» قال: رأيتُ قومك قد كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك، فانظرُ، فإنْ ظهرتَ عليهم آمنتُ بك واتَّبعتُك، وإن ظهروا عليك لم أتَّبِعْك. فقال له رسول الله ﷺ: «لعلَّك إنْ بَقِيتَ قريباً سترى ظهوري عليهم». قال ذو الجَوْشَن: فواللهِ إني لَبِضَرِيَّةٍ[٧]؛ إذا براكب قد أقبل من مكة، قلنا: ما الخبر؟ قال: ظهر محمدٌ على أهل مكة.

---

(١) لفظة «حي» ليست في (ص).

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٤.

(٣) في (أ): أقضيتك، وفي (ب) و(خ): أن أقضيتك. والخبر بنحوه في «مسند» أحمد (١٥٩٦٥) وفيه: أن أقيضك.

(٤) لفظة «فعلت» ليست في (أ) و(ص).

(٥) في (أ) و(خ) و(ص): بدرهم.

(٦) في (خ): في.

(٧) ضَرِيَّة: موضع بأرض نجد. ينظر «النهاية» ٣/ ٨٧. وتحرف اللفظ في (أ) و(ب) و(ص) إلى: لنصرته. وفي رواية «مسند» أحمد (١٥٩٦٥): إني لبأهلي بالغَوْر.

قال: وكان ذو الجوشن يتوجَّع على تركه الإسلام حين دعاه رسول الله ﷺ إليه. وهذه رواية ابن سعد.

وقال ابن البَرْقي: اسم ذي الجوشن أوس بن الأعور، والضِّبابي لقب أحد أبويه[١] اسمه ضَبّ، فنسبوه إليه.

وقال أبو إسحاق السَّبِيعي: إنما سُمِّي بذي الجَوْشن لأن صدره كان ناتئاً.

وقال ابن سعد عن أبي إسحاق قال[٢]: كان شَمِر بن ذي الجوشن لا يكادُ يصلِّي معنا، ويجيء بعد الصلاة، فيصلي، ثم يقول: اللهمَّ اغْفر لي فإني كريم لم تلدني اللئام. قال: فقلت له: إنك لسيِّئُ الرأي يومَ تُسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ. فقال: دعنا يا أبا إسحاق، فلو كنَّا كما تقول أنت وأصحابُك؛ لكنَّا شرّاً من الحُمُر السُّقاة[٣].

ذكر مقتله:

قد ذكرنا أن المختار بعث غلامَه زِرْبيّاً[٤] في طلب شَمِر، وأنَّ شَمِر طعنَه فقتلَه، ومضى حتى نزل بساتِيدَما[٥].

قال أبو مِخْنَف: فنزل إلى جانب قرية يقال لها: الكلتانيَّة[٦] على شاطىء نهر إلى جانبه تلّ، فأرسل إلى تلك القرية، فأخذ منها عِلْجاً، فضربه، ثم قال: النَّجاء بكتابي هذا إلى مصعب بن الزبير [بالبصرة، وكتب عنوانه: للأمير المصعب بن الزبير] من شَمِر ابن ذي الجَوْشن.

قال: فمضى العِلْجُ حتى دخلَ قرية، وفيها أبو عَمْرة، وقد كان المختار بعثه إلى تلك القرية ليكون مَسْلَحَةً له فيها خوفاً من البصرة، فلقيَ ذلك العِلْجُ عِلْجاً، فوقف معه

---

(١) في (ص): آبائه.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٥ .

(٣) المصدر السابق، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٨/ ١٢٣ (مصورة دار البشير).

(٤) في (أ) و(ص) و(م): زرنباً، وفي (خ): رزيناً، وفي (ب): زرينا. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٢ .

(٥) هو جبل قرب الموصل والجزيرة، أو نهر بين آمد وميَّافارقين، وسلف ذكره ص ٣٧٨ .

(٦) في النسخ الخطية: الكلبانية (في الموضعين) والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٢ ، وذكرها ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٤٧٦ .

يشكو إليه ما لقيَ من شَمِر، ومرَّ رجل من أصحاب أبي عَمْرة، فرأى الكتابَ مع العِلْج، فقرأ عنوانَه، فقال: وأين صاحبُ هذا الكتاب؟ قال: في الكلتانية، وإذا بينهم وبينها ثلاثة فراسخ، فأقبلُوا يسيرون إليه.

قال مسلم بن عبد الله الضِّبابي: وكنتُ مع شَمِر في تلك الليلة، فقلت: لو ارتحلتَ بنا من هذا المكان، فإنَّا نتخوَّف. فقال: كلُّ هذا فَرَقاً من الكذَّاب! واللهِ لا أَتحوَّلُ منه ثلاثة أيام، ملأَ الله قلوبكم رعباً.

قال: وكان في ذلك المكان دَبَىً كثير، فبينما أنا بين النائم واليقظان؛ إذ سمعتُ وَقْعَ حوافر الخيل، فقلت: هذا صوتُ الدَّبَى، ثم إنني سمعتُه أشدَّ من ذلك، فقمتُ وإذا بهم قد أشرفوا علينا من التلّ وكبَّروا، ثم أحاطوا بنا، وخرجنا نشتدّ على أرجلنا، وتركنا خيلَنا.

قال: فآتي على شَمِر وإنَّه لمشتمل ببُرْد محقَّق خَلِق، وكان أبرص، وكأني أنظر إلى بياض كَشْحَيْهِ من فوق البُرْد، وإنه ليُطاعنُهم بالرُّمح، قد أعجلوه أن يلبس سلاحَه وثيابه.

قال: فمضينا وتركناه، فما هو إلا أن مكثتُ ساعة إذ سمعتُ: اللهُ أكبر، قُتل الخبيثَ[١].

وقال الهيثم: ولما أحاطوا به قاتل[٢]، فأثخنوه، وذبحوه، وأوطأ أبو عَمْرَةَ الخيل على ظهره وبطنه.

وقال أبو اليقظان: خرج عليهم وبيده السيف وهو يقول: أنا قاتل الحسين بن علي، فحمل عليه عبد الرحمن بنُ عبد الله الهَمْداني، فطعنه، فأنفذه، ونزل فذبحه، وبعث برأسه إلى المختار، وألقى جُثَّته فأكلتها الكلاب[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٢ـ٥٣ ، وتاريخ دمشق ٨/ ١٢٤ .

(٢) في (م): بقي يقاتل.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٥ـ٦٦ .

وفيها توفّي

عُمر[١] بنُ سعد بن أبي وقّاص

قد ذكرنا أن عُمر بن سعد لمَّا أقبل على أبيه وهو نازل بالعقيق ورآه من بعيد قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب[٢].

وقال الهيثم: كان سعد بنُ أبي وقّاص جالساً يوماً، فجاءه غلامٌ له ودمُه يسيلُ على عقبيه، فقال له سعد: مَنْ فعلَ بك هذا؟ فقال: عمر. فقال سعد: اللهمَّ اقْتُلْه، وأَسِلْ دَمَه. وكان سعدٌ مستجابَ الدعوة[٣]. ففعل به المختارُ ذلك.

ذكر مقتله:

حكى أبو مِخْنَف قال: قال المختار يوماً لجلسائه: لأقتلنَّ [غداً][٤] رجلاً عظيم القدمين، غائرَ العينين، مشرفَ الحاجبين، يسرُّ مقتلُهُ المؤمنين والملائكة المقرَّبين.

قال: وكان الهيثم بن الأسود النَّخَعي عند المختار، فوقع في نفسه أنه يريد عُمر بن سعد، فأرسلَ إليه مع ابنه العُرْيان وقال: خُذْ حذرَك، فما يريد غيرَك. فقال: بعد أن أعطاني العهود والمواثيق! وكان المختار أوَّلَ ما ظهر؛ كلَّمه عبدُ الله بنُ جَعْدة بن هُبيرة ـ وكان عنده كريماً لقرابته من عليّ عليه السلام ـ فقال: أُريد أماناً لعُمر بن سعد. فكتب إليه أماناً، مضمونُهُ: هذا أمانٌ لعُمر بن سعد من المختار أنه آمنٌ على نفسه ومالِه وأهلِه وولده ما أطاعَ ولزمَ رَحْلَه ومصره ما لم يُحْدِثْ حَدَثاً. وأشهدَ فيه عبدَ الله ابنَ شدَّاد، وعبدَ الله ابنَ كامل، وغيرَهما. قالوا: وأراد المختار بقوله: ما لم يُحْدِثْ حَدَثاً أي: يأتي الخلاء.

ولما بعث إليه الهيثمُ مع ابنه العُريان؛ خرج ليلاً من رَحْلِه ومنزله إلى حمَّام[٥]، فقال له بعضُ مواليه: ما تُريد؟ فأخبره، فقال: وأيُّ حَدَث أعظمُ ممَّا أتيتَ؟ خرجتَ عن رَحْلك ومنزلك، ارجع إلى رَحْلك. فرجع.

---

(١) المثبت من (م)، وفي غيرها من النسخ الخطية: عَمرو، وهو خطأ.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٦٥).

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٤.

(٤) لفظة: غداً، من «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠.

(٥) في (م): حمَّامه.

وأُخبر المختار بانطلاقه، فقال: كلَّا، إنَّ في عنقه سلسلةً تردُّه أن ينطلق[١]. وأصبح المختار، فجلس على كرسيِّه، وبعث أبا عَمْرة إلى عُمر وقال: ائتني به، فقد نكث وأرادَ الخروج عليَّ.

وفي رواية: فلما أصبح عُمر بعث بابنه حفص بن عمر إلى المختار، فقال له: إن أبي يقول لك: هل أنتَ مقيم على أمَانك؟ فقال: اقعدْ. ثم قال لأبي عَمْرة: اذهب فائتني برأسه. فجاء إليه وقال: أجِبْ الأمير. فقام ليلبس جُبَّتَه، فعثرَ فيها، فضربه أبو عَمْرة بسيفه، فأبانَ رأسَه، وجاء برأسه في طرف قَبائه، فوضعه بين يدي المختار، فقال لابنه حفص: أتعرفُ هذا الرأس؟ قال: نعم، ولا خير في الحياة بعده. أو: لا خير في العيش بعده. فقال له المختار: فإنَّك لا تعيش بعده. فأمر به، فقُتل، ووُضع رأسُه إلى جانب رأس أبيه، وقال المختار: عُمر بحسين، وحفص بعليّ بن الحسين، ولا سَوَاء، واللهِ لو قتلتُ به ثلاثةَ أرباع قريش ما وَفَوْا بأُنْمُلَةٍ من أنامله[٢].

وقال أبو مِخْنَف: إنما هيَّج المختار على قتل عُمر بن سعد أنَّ يزيد بن شَراحيل الأنصاريّ ذَكَرَ عند محمد بن الحنفيَّة خروجَ المختار وطلبَه بدماء أهل البيت، فقال محمد ابن الحنفية: يزعم أنه لنا شيعةٌ، وقَتَلَةُ الحُسين جلساؤُه على الكراسي يحدِّثُونه ويُحدِّثُهم.

فلما رجع يزيد إلى الكوفة قال له المختار: ما قال لك المهديّ؟ فأخبره، فما لبث المختار أن قتلَ عُمر بن سعد وابنَه، وبعث برأسَيْهما إلى ابن الحنفيَّة مع مسافر بن سعيد الناعطي، وظَبْيَان بن عُمارة التميمي، وكتب معهما:

إلى المهديّ محمد بن عليّ من المختار بن أبي عبيد، أمَّا بعد، فإنَّ الله بعثني نقمةً على أعدائكم، فهم بين قتيل وأسير، وطريدٍ وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم، ونصرَ مؤازريكم، وقد قَتَلْنا كلَّ من شَرَكَ في دماء أهل البيت، ومَنْ قَدَرْنا عليه، ولن يُعجزنا مَنْ بقي حتى لا يبقى على أديم الأرض منهم أحد. والسلام[٣].

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٦١ : لو جهد أن ينطلق ما استطاع.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٤ـ٦٥ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠ـ٦١ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٤٣ـ٤٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦٢ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٤٥ .

ذكر طرف من أخبار عُمر بن سعد:

ذكره ابنُ سَعْد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة[١].

وأمُّه رَمْلَة بنت أبي الأنياب[٢]، من كِنْدة، وأصله من المدينة، وسكن الكوفة.

وحدَّث عن أبيه، وروى عنه ابنُه إبراهيم بن عمر، والزُّهري، وقَتَادة.

وكان مع أبيه بدُومة الجندل، وهو الذي حرَّض أباه على حضورها، ثم ندم سعد، فأحرمَ بعُمرةٍ من البيت المقدَّس[٣].

وقال ابنُ عساكر: حدَّث الفَلَّاس عن يحيى بن سعيد القطَّان أنه روى حديثاً عن عُمر ابن سعد، فقام إليه رجل، فقال: أما تخافُ الله؟! أتَرْوِي عن قاتل الحسين؟! فبكى يحيى بن سعيد وقال: أخطأتُ، واللهِ لا حَدَّثْتُ عنه أبداً[٤].

قال: وقال ابنُ أبي خيثمة: سألتُ ابنَ معين عن عُمر بن سعد: أثقة هو؟ فقال: كيف يكون مَنْ قتلَ الحسين ثقةً[٥]؟!

قال: وقال ابنُ وَهْب: كان سعدٌ واجداً على ابنه عُمر، فأتاه أناس يشفعون فيه، فتكلَّموا وبالغوا، وتكلَّم عمر، فكأنَّما لم يتكلَّم معه أحد، فقال سعد: هذا الذي يُبَغِّضُك إليَّ، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يكونُ في آخر الزمان قومٌ يأكلون بألسنتهم كما تَلحَسُ البقرُ من الأرض بألسنتها»[٦].

---

(١) كذا في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٣٢ من طريق ابن سعد. ولم أقف عليه عنده في هذه الطبقة، وأورده في «طبقاته» ٧/ ١٦٦ في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة.

(٢) كذا في رواية ابنِ البَرْقي؛ ذكرها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٣٢ـ٣٣ ، وأورد روايات أخرى أن أمَّه ماويّة بنت قيس، وفي «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٦٦ : مارية بنت قيس.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٦٦ـ٦٧ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢٩ و٣٤ . والقصة في أمر اجتماع الحَكَمين (أبي موسى الأشعري وعَمرو بن العاص) بدومة الجندل. وينظر «صحيح» مسلم (٢٩٦٥).

(٤) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٠ .

(٥) المصدر السابق ٥٤/ ٤٣ .

(٦) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٥ ، وهو بنحوه في «مسند» أحمد (١٥١٧).

وقال ابنُ عساكر أيضاً[١]: روى الحُميدي عن سفيان قال: قال عُمر بن سعد للحسين: إنَّ قوماً من السفهاء يزعمون أني قاتلُك. فقال الحسين: ليسوا بسفهاء، ولكنهم حكماء. ثم قال الحسين: واللهِ إنه ليقرُّ بعيني أنك لا تأكل بُرَّ العراق بعدي إلا قليلاً.

قال: وكان عمر بن سعد إذا مرَّ على الناس قالوا: هذا قاتلُ الحسين بن علي رضي الله عنه[٢].

فصل يتعلق بعقوبة قاتليه

ذكر جدِّي رحمه الله في «المنتظم»[٣] عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ أني قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتلٌ بابنِ فاطمة سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وروى ابنُ عساكر في «تاريخه» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «قاتل الحسين في النار».

وقال الواقدي: ما بقي أحدٌ ممَّن شهد قتله، أو شارك فيه، إلا عُوقب في الدنيا بالقتل والبلاء، وفي الآخرة بالعذاب.

قال: وقال ابن الرمَّاح: كان عندنا بالكوفة شيخ أعمى قد شهدَ قتل الحسين، فسألناه عن سبب ذهاب بصره، فبكى وقال: كنت عاشر عشرة، غير أني لم أضرب بسيف، ولم أرم بسهم، ولم أطعن برمح، فرجعتُ إلى منزلي وعيناي كأنهما كوكبان، فنمتُ تلك الليلة، فأتاني آتٍ في منامي، فقال: أجِبْ رسول الله ﷺ. فقلت: ما لي ولرسول الله ﷺ. فأخذ بتلابابي، ثم جَذَبَني، وانطلق بي إلى مكان، فإذا رسولُ الله ﷺ جالس وعنده جماعة، وهو حاسرٌ عن ذراعيه، وبيده سيفٌ مسلول ونطع، وإذا بأصحابي التسعة مُذَبَّحين بين يديه، فسلَّمتُ عليه، فقال: لا سلَّم الله عليك يا عدوّ الله، انتهكْتَ حُرْمَتي، وشهدتَ قتلَ ولدي وأهلِ بيتي، ولم تَرْعَ حقِّي. فقلت: يا رسول الله، ما رميتُ بسهم، ولا ضربتُ بسيف، ولا طعنتُ برمح. فقال: ولكنَّك كثَّرتَ سوادَ القوم. وإذا بين

(١) المصدر السابق ٥٤/ ٣٨.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٨. وفيه في آخر الخبر: وذلك قبل أن يقتلَه.

(٣) ٥/ ٣٤٦. وهو في «تاريخ دمشق». ينظر «مختصره» ٧/ ١٤٩.

يديه طست فيه دمُ الحسين وهو يغلي، فأقعدني بين يديه وكحلني منه بميل في كلِّ عين، فأصبحتُ أعمى كما تَرَوْن[١].

وقال السُّدِّيّ: نزلتُ بكربلاء ومعي طعام للتجارة، فنزلنا على رجل فتعشَّينا عنده، وتذاكرنا حديث قتل الحسين، وقلنا: ما شَرَكَ أحدٌ في دمه إلا ومات أقبح موتة. فقال الرجل: أنا شَرَكْتُ في دمه، وكنتُ فيمن قتلَه، وما أصابني شيء. قال: ونمنا، فلمَّا كان آخِرُ الليل؛ ارتفع الصُّراخ من جانب الدار، فقلنا: ما الخبر؟ قال: قام الرجل يُصلحُ المصباح، فاحترقت إصبعه، ثم دَبَّ الحريقُ في جسده، فبقي حُمَمَةً. قال السُّدِّيّ: فأنا ـ واللهِ ـ رأيتُه كأنَّه فحمة[٢].

وقال أبو القاسم السِّمناني: ومن أعجب الأشياء ما نُشاهد في الدنيا أنَّ الحسين عليه السلام لم يخلِّف ولداً سوى عليّ زين العابدين، وهو أبو الأئمة، وقد نَشَرَ اللهُ من ذُرِّيَّته بعدد الرَّمل والحَصَى ساداتٍ وأشراف[٣]، ومات يزيد بن معاوية، وترك نحواً من عشرين ولداً، وليس له اليومَ على وجه الأرض نسل، والله أعلم.

السنة السابعة والستون

فيها قُتل عبيد الله بن زياد، والحُصين بن نُمير السَّكوني الذي رمى الكعبة بالمجانيق وحرَّقها، وأعيانُ الشام[٤]، وسنذكره في آخر السنة.

وفيها قُتل المختارُ أيضاً، ومحمد بنُ الأشعث، وعُبيد الله بنُ عليّ بن أبي طالب، وعَمرة بنتُ النعمان بن بشير زوجةُ المختار، وسنذكرهم إن شاء الله تعالى.

وفيها عزلَ عبدُ الله بنُ الزُّبير القُباع عن البصرة، وولَّى أخاه مصعبَ بنَ الزُّبير عليها.

قال عُمر بنُ شَبَّة: فقَدِمَ المصعبُ من مكَّة إلى البصرة، فأناخ على باب المسجد[٥] وهو متلثّم، ثم دخل، فصعد المنبر، وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الملقب

---

(١) ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٥٧.

(٢) المصدر السابق ٧/ ١٥١.

(٣) كذا في النسخ الخطية، والجادة: وأشرافاً.

(٤) في (أ) و(ب): وأعيان أهل الشام.

(٥) في (أ) و(خ) و(ص) و(م): باب البصرة، وليس في (ب)، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٩٣.